

و. نبيل فاروق

روايات مصرية الحبيب

155

رجل المستحيل

الإرهاب



Looloo

www.dvd4arab.com



1- شياطين ..

توقفت سيارة فارهة بيضاء ، أمام ذلك المبنى الكبير في قلب مدينة (نيويورك) الأمريكية ، والذي يحمل شعار شركة (أميجو) للإلكترونيات ، وهبط منها المدير الإداري للشركة (موريس أنزيو) ، وهو يحمل بين أصابعه سيجاره الكوبي الفاخر ، فأسرع إليه حارس المبنى ، مع اثنين من رجال الأمن ، وبصحبتهم سكرتيرته الخاصة ، التي سارت إلى جواره ، وهو يتجه نحو المبنى ، وراحت تلخص ما لديها في كلمات سريعة ، قائلة :

- في الثامنة والنصف ينبغي أن تتصل بمسئول وزارة الدفاع الأمريكية ، بشأن صفقة أجهزة التوجيه الجديدة ، في طائرات (ف- 15) ، وهناك مقابلة في التاسعة ، مع مدير شركة (نورثروب) ، أما في التاسعة والنصف ...

تابعها (أنزيو) في اهتمام ، وهو يتجه معها إلى ذلك المصعد الخاص ، الذي يصعد إلى مكتبه مباشرة ، في الطابق الأربعين من المبنى ، وسألها وهما يدخلان إليه ، مع أحد حراسه :

- هل أرسلت نسخة من هذه التقارير ، إلى السيد (أميجو صندو) ؟



رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن - 1) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته للتامة لست لغات حية ، وبراعته الفائقة في استخدام أصوات التتكر (و) (المكياج) ، وقبادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعددة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في من (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات الحربية ، لقب « رجل المستحيل » .

و. نبيل فاروق

أومات سكرتيرته (لورا) برأسها إيجاباً ، وقالت :

— كما يحدث دوماً يا سيدي .. لقد أرسلت نسخة خاصة ، بالبريد المؤمن والمضمون ، إلى تلك العنوان البريدي في (زيورخ) ، و.....

صمتت لحظة مترددة ، فسألها في قلق :

— وماذا ؟

هزت (لورا) كتفها ، مجيبة :

— ولكننا لا نتلقى أية ردود ، منذ أكثر من عام كامل .

التقى حاجباه في شدة ، وهو يقول :

— ليس هذا من شأننا .. إننا ننفذ تعليمات المالك فحسب .

عادت تهز كتفها ، مغفمة :

— أنت على حق يا سيدي ليس هذا من شأننا .

صمتت لحظة ، والمصعد يواصل رحلته بهم ، إلى الطابق

الأربعين ، ثم لم تلبث أن تساءلت في فضول :

— ألا يأتي السنيور (أميجو) إلى الشركة أبداً ؟! أعنى لنياشر

أعماله على الأقل .

اتعقد حاجباه ، وكأنما لا يروق له السؤال ، وأجاب في شيء من الخشونة ؛ ليمنعها من إلقاء المزيد من الأسئلة :

— إننا نتلقى أوامره هاتفياً أو بريدياً .

أومات برأسها متفهمة ، ولكنه أضاف ، في شيء من العصبية :

— إنها ليست حالة شاذة .. ألا تذكرين ذلك الغموض ، الذي

أحاط بـ (هيوارد هوز) ؟!

غمضت :

— بالتأكيد .

بلغ المصعد بهما الطابق الأربعين ، حيث مكتب (أنزيو) ، وما أن

انفتح بابه ، حتى غادره ثلاثتهم ، و (أنزيو) يقول في حزم :

— أريد ملخصاً كاملاً لصفقات شركة (دينثروبا) خلال الـ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وارتد

جسده إلى المصعد بحركة حادة ، كما لو أصابته صاعقة ، وشهقت

(لورا) في قوة ، في حين سحب الحارس الخاص مسندته بحركة

(*) هيوارد روبرت هوز (1905 - 1976م) : رجل أعمال أمريكي ، عرف

بوصفه من أغنى الناس في العالم ، وخلال ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين ،

اكتسب شهرته كمنتج سينمائي وطيار ، وفي منتصف الخمسينات ، اختفى متصداً

عن الأنظار ، فلم يعد يظهر في العلن ، أو يسمع بالنقاط الصور له .

سريعة متحفزة ، وثلاثتهم يحدقون في ذلك الشخص ، الذي وقف هناك ، عند النافذة الكبيرة ، في نهاية المكان ، يتطلع إلى (نيويورك) في صمت ، وقد عقد كفيه خلف ظهره في هدوء ..

وعلى الرغم من أن ذلك الرجل لم يلتفت إليهم ، أو تبدر منه أية بادرة ، توحى بالقلق لتفقد مهمة ، فقد قال في صرامة ، بلغة أمريكية ، حملت لكنة مكسيكية واضحة :

- أعد مسدسك إلى غمده يا رجل .. إنه أنا .

ظل الحارس على تحفزه ، الذي أضيف إليه الكثير من التوتر ، في حين هتف (أنريو) ، بكل دهشة الدنيا :

- سنيور (أميجو) ؟! أهو أنت ؟!

حدقت (لورا) في الواقف بذهول ، وهي تهتف ، بصوت اختلق من فرط الانفعال :

- سنيور (أميجو) ؟!

ثم هتفت بكل ذهولها :

- ولكن كيف ؟! كيف وصلت إلى هنا ؟!

تجاهل ذلك الشخص سؤالها تمامًا ، وكأنما لا يعنيه حتى أن يجيبه ، في حين اندفع (أنريو) نحوه ، هاتفاً في حماس :

- يا لها من مفاجأة ! مرحباً بك يا سنيور .. لماذا لم تبلغنا بقدمك ، حتى نستعد لاستقبالك على نحو لائق .

قال الرجل في صرامة :

- أنت تعلم كم أبغض الرسميات .

ارتبك (أنريو) ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا سنيور (أميجو) .. بالتأكيد ..

تجمد الموقف بعدها بضع لحظات ، وكلما لا يدري أحد ما الذي ينبغي أن تكون عليه الخطوة التالية ، حتى قال الرجل في صرامة :

- ألم آمرك بإعادة مسدسك إلى غمده يا هذا ؟!

قتفض الحارس الخاص في توتر ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يتساءل ، كيف يدرك الرجل كل هذا ، دون أن يلتفت إليهم مرة واحدة طوال الوقت ؟!

أما (لورا) ، فقد ضاقت عينها ، وهي تتأمل ذلك الرجل في اتبهار ، قبل أن يقول بنفس الصرامة :

- اتركونا وحدنا .

كانت عبارة قصيرة للغاية ..

ولكنها شديدة الوضوح ..

لذا ، فقد انسحبت (لورا) في سرعة إلى المصعد ، وهي تقف في ارتباك :

- بالتاكيد يا سنيور (أميجو) .. بالتأكيد .

ارتبك الحارس الخاص ، وهو ينقل بصره بين ذلك الرجل ، ورئيسه المباشر (أنزيو) ، فأشار إليه هذا الأخير برأسه أن يطيع الأمر ، فتراجع بدوره ، مغففاً :

- سابقي جهاز الاتصال مفتوحاً .

تمتم (أنزيو) في خفوت :

- لا بأس .

سلك صمت مهيب على المكان ، حتى غادر المصعد بالحارس والسكرتيرة ، فوقف (أنزيو) متأهباً ، وهو يشعر بتفعل جارف ، يسرى من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ..

أما الرجل ، فقد ظل صامتاً طويلاً ..

طويلاً جداً ..

كان يستعيد ذكريات عديدة ، ملأت رأسه كله ، وفاضت منه إلى عروقه وخلاياه ..

ذكريات فقداته ذاكرته قديماً في المكسيك (*) ..

وزواجه من (سونيا جراهام) ، ألقى (الموسد) الرهيبة (**) ..

وابنه منها (***) ..

وتلك الثروة التي استولى عليها منها ، وأقام بها ذلك الصرح الهائل ، في قلب (نيويورك) (****) ..

الصرح ، الذي يستخدمه مع أرباحه ، لخدمة وطنه الأم ..

(مصر) ..

كان كل شيء يدار بدقة مذهشة ، وحنكة لاسبيل إلى كشفها ، عبر مجموعة من خبراء جهاز المخابرات العامة المصرية ، وعلى نحو لا يسمح باختراقه قط ..

بل لم يكن هناك عربي واحد ، يعمل في المناصب الإدارية الرئيسية للشركة ، ورداً للشبهات ..

(*) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم (81) .

(**) راجع قصة (الأخطبوط) .. المغامرة رقم (82) .

(***) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (84) .

(****) راجع قصة (لمسة الشر) .. المغامرة رقم (85) .

ولكن فروع الشركة كانت منتشرة ، في كل عواصم العالم ..

ومعها عيون المصريين وعقولهم ..

وهذا وحده ، كان ربما لا يمكن تصوّره ..

أو تجاهله ..

أو المجازفة بإثارة أدنى شبهات حوله ..

باختصار ، كانت شركة (أميجو) للإلكترونيات ، من أقوى أسلحة المعلومات للمخابرات المصرية ، في العالم أجمع ..

والأمر الذي كانت تجهله (لورا) تمامًا ، هو أن تلك التقارير ، التي ترسلها إلى (زيورخ) ، كانت تبلغ المخابرات المصرية ، في اليوم نفسه ..

تقارير عن تطور التسليح ..

والاتصالات ..

ونظم المعلومات ..

وعلى نحو رسمي تمامًا ..

و ...

« لدينا هنا قسم للتحريات .. أليس كذلك ؟ »

القي (أدهم صبرى) ، المعروف في الشركة باعتباره (أميجو

صقندو) ، السؤال في حزم ، فسرت قشعريرة في جسد (أنزيو) ،

وهو يجيب في سرعة وانفعال :

- بالتأكيد يا سنيور ..

تساعل (أدهم) ، دون أن يلتفت إليه :

- وكم يبلغ توغل أفرادنا ، في المجتمع الاقتصادي ؟

بدا (أنزيو) حذرًا ، وهو يجيب :

- إلى أقصى حد يمكنك أن تتصوّره يا سنيور ..

وتردّد لحظة ، قبل أن يتساعل ، في حذر أكثر :

- أهي صفقة جديدة ، أم ..

قاطعه (أدهم) ، دون أن يسمح له بإتمام السؤال :

- ومذا عن العالم السفلي ؟

اعتدل (أنزيو) ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتساعل في

توتر :

- ألا يمكنك أن تخبرني ، ما الذى تسعى إليه بالضبط يا سنيور ؟!
أعنى أن هذا قد يختصر الكثير من الوقت .

صمت (أدهم) بعض الوقت ، قبل أن يجيب فى صرامة :
- وقد يؤدى إلى تعقيدات لا داعى لها ..

شعر (لزيو) بحيرة شديدة ، وهو يحاول استيعاب هذا الموقف ،
ثم لم يلبث أن اعتدل فى وقفته ، متسائلاً :

- سنيور (أميجو) .. بم تأمر بالضبط ؟!

وهنا فقط ، التفت إليه (أدهم) ، قائلاً فى حزم :

- أريد الاجتماع بأفضل عناصر قسم التحريات يا (لزيو) ..

فوراً .

ومرة أخرى ، سرت قشعريرة ، فى جسد (لزيو) ..

قشعريرة باردة ..

كالثلج ..

« سيسعى للبحث عن رفاقه .. »

نفتت الزعيمة الغامضة دخان سيجارتها الطويلة فى قوة ،
وهى تنطق العبارة فى ثقة وهدوء ، فابتسمت تابعها الصينية
الحسنة (نيا) ، فى شيء من الخبث ، وهى تقول :
- تبدين واثقة أيتها الزعيمة .

رمقتها الزعيمة بنظرة جانبية ، وهى تقول :

- وهل سبق لى أن أخطأت قراءة التوقعات ؟!

أجابتها (نيا) فى حماس مخلص :

- مطلقاً .

ابتسمت الزعيمة ، فى خبث مماثل ، قائلة :

- ومازلت تسألين ؟!

أجابت (نيا) فى سرعة :

- ليس للمعرفة .

ثم تراجعت متزلفة :

- ولكن للاستمتاع بالجواب .

ارتسمت لمحة ساخرة ، على طرف شفתי الزعيمة ، وهى تقول :

- حقاً ؟!

ثم اعتكلت ، متابعة في حزم :

- ما دام لم يجد رفيقه هناك ، في الأذغال ، فسيبقى حتما للبحث عنهم هنا^(*) .

أشارت (تيا) بسبابتها ، قاتلة :

- السؤال هو : كيف سيغير حدود الولايات المتحدة الأمريكية ، في أيام بلغت فيها التوترات ثروتها ..

تضاعفت السخرية ، على شفقي الزعيمة ، وهي تقول :

- لست أظن هذا يمثل له مشكلة ..

لم يرق الجواب للصينية الحسنة ، فقالت في توتر :

- بل هي مشكلة .. ومشكلة كبيرة أيضا ، في ظروف مكافحة الإرهاب هذه ؛ فكل قوات الحدود متحفزة ، والحدود كلها مراقبة بوسائل إلكترونية ورقمية متطورة للغاية ، وأوراق الجميع يتم فحصها ، بوسائل يستحيل العبث بها ، و ...

قاطعتها الزعيمة ، وهي تلقي سيجارتها بعيدا :

- وما حاجته إلى كل هذا التحليل ؟

سألتها (تيا) في إصرار :

(*) راجع قصة (الحرب) .. المغامرة رقم (154) .

- كيف سيصل إلى هنا إذن ؟

تراجعت الزعيمة في مقعدها ، وأشعلت سيجارة جديدة ، تابعتها (تيا) في شيء من التوتر ، وهي تنفث دخانها في الهواء بعنف ، قبل أن تجيب بابتسامة جذلة :

- بجواز سفره .

حدقت الصينية الحسنة فيها بدهشة واضحة ، قبل أن تكرر :

- جواز سفره ؟

اعتكلت الزعيمة بحركة حادة ، وأشارت إلى جهاز الكمبيوتر القريب ، وهي تقول بلهجة أمرة مفاجئة :

- ابحثي في قوائم الوصول ، عن اسم (أميجو صاندو) .

بدت الدهشة على وجه (تيا) ، وهي تنتقل إلى الكمبيوتر ، متسائلة في حذر :

- (أميجو صاندو) ؟! أتظنين أنك المليونير الغامض الذي ...

قاطعتها الزعيمة في صرامة :

- ابحتى .

جرت أصابع (تيا) على أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، قبل أن يلتقى حاجباها ، وهى تطلع شاشته ، قللة : (تيا) ابحتى

- لقد وصل بالفعل ، فجر اليوم .

بدا اهتمام شديد على الزعيمة ، وأطل وأضخا من صوتها ، وهى تقول : (تيا) ابحتى

- وصل ؟!

التفت إليها (تيا) ، متسائلة فى حيرة : (تيا) ابحتى

- هل تعتقدين أن ذلك المليونير هو ...

قاطعتها الزعيمة مرة أخرى ، وهى تنهض فى انفعال ، قللة :

- ربما يحمل لقب مليونير ، ويرتبط اسمه بشركة إلكترونيات

كبيرة ، ولكنى واثقة من أنه لا ينفق سنتًا واحدًا من أرباح

شركته هذه ، لشراء قطعة حلوى .

سألتها (تيا) ، وقد بدأت تشعر بحرارة الأمر : (تيا) ابحتى

- أين تذهب لأرباح الشركة إذن ؟!

صمتت الزعيمة بضع لحظات ، قبل أن تتألق عيناها ، وهى تقول ، وكأنها تتحدث مع نفسها :

- هذا هو السؤال ، الذى ينبغى أن نطرحه على الإدارة الأمريكية الجديدة .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف فى سخرية :

- الإدارة التى نذرت نفسها ؛ للقضاء على مصادر تمويل الإرهاب .

قالتها ، ثم تفجرت من حلقها ضحكة ..

ضحكة لخصت الكثير من مشاعرها ..

ومن نواياها ..

ومن الصراع القائم ..

للصراع الذى سيخوضه رجل المستحيل ، مع دولة بأكملها ..

دولة بكل قواتها ..

وقدراتها ..

وسلطاتها ..

وشياطينها ..

كلهم ..

بلا استثناء ..

...

...

...

...

...

...

...

...

2 - ناقوس الحرب ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى تمام الثانية صباحاً في (القاهرة) ، عندما تلف النائب الأول لمدير المخابرات العامة المصرية إلى مكتب هذا الأخير ، وهو يحمل مظروفاً كبيراً ، زينه شريط أحمر في ركنه ، طبع فوقه ، بحروف سوداء كبيرة كلمتا (سرى للغاية) ..

وفي اهتمام شديد ، تساهل المدير :

- أخبار جديدة عن (ن - 1) .

أوماً للنائب برأسه إيجابياً ، وهو يقول ، في لهجة شفت عن

مدى قلقه :

- لقد وصل إلى مقر الشركة في (نيويورك) ، ويجتمع حالياً

برؤساء قسم التحريات .

التقى حاجبا المدير ، وهو يتراجع في مقعده ، متسائلاً :

- يجتمع بهم ؟!

أجابه النائب :

- هذا أثار حيرتنا أيضًا يا سيادة الوزير ، فالعميد (أدهم) لم يقد الاستعانة بآخرين ، في مثل هذه الأمور الخاصة .

غمغم المدير :

- ما الذى يفعله بالضبط ؟!

قال النائب فى قلق :

- ربما يحاول توسيع دائرة البحث ، أو ...

قاطعه المدير فى حزم :

- (ن - 1) لنكى من أن يفعل هذا .

ثم اعتدل ، وعاد يقول ، وكأنه يحدث نفسه :

- إنه يضع خطة ما .

تساءل النائب فى دهشة :

- بهذا الوضوح ؟!

قال المدير فى حزم :

- أنت تعرف (ن - 1) .. ما دام يتعامل بهذا الوضوح ، فهذا لا يمكن أن يعنى إلا أمرًا واحدًا .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

- إن لديه أمرًا آخر غير واضح . على الإطلاق .

وهز رأسه ، قبل أن يتابع :

- السؤال هو : ما الذى لديه بالضبط ؟! وإلى أى مدى ، يمكن أن تتطور الأمور ؟

همّ النائب بقول شيء ما ، إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه ، على نحو ملحوظ ، جعل المدير يسأله فى اهتمام :

- قيم تفكر .. هات ما لديك يا رجل أنت تعلم أننى أميل دومًا إلى سماع كل الاقتراحات .

ترنّد النائب لحظة ، فأضاف المدير فى حزم :

- وبلا ترنّد .

وهنا ، حسم النائب أمره ، وقال :

- الواقع يا سيدي لنني ، مع مجموعة من زملاء هنا ، نرى أن العميد (أدهم) قد تجاوز كل الحدود المسموح بها في عالمنا هذا .

تراجع المدير في مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمامه ، قائلاً .

- أترون هذا حقاً ؟

تتابع النائب ، وكأنما يخشى أن يتوقف ، فيفقد شجاعة الاستمرار فيما بعد :

- فطوال الآونة الأخيرة ، تشغل بصراعات شخصية ، تترعه من واجبه الرئيسي ، في خدمة (مصر) ، مهما كُنت للتضحيات .

أوماً المدير برأسه ، إيماءة بلامعنى واضح ، فاستطرد النائب :

- صحيح أن تاريخه مشرف للغاية ، وأن الخدمات التي قدمها للوطن لا تقدر بمال ، إلا أن مواقفه الحالية ، أصبحت تهدد أمن

الوطن نفسه ، الذي بذل كل ما بذله من أجله ، حتى أننا لو استشرناه هو نفسه في الأمر ، لراى نفس ما نراه الآن .

تهذ المدير ، وهو يتساعل :

- وما الذي تروونه بالتحديد ؟

صمت النائب لحظة ، استجمع خلالها كل حزمه ، قبل أن يشد قامته ، في وقفة عسكرية ثانية ، وهو يجيب :

- العميد (أدهم صبرى) لا يمكن أن يستمر في صفوف المخابرات .

اعتدل المدير ، وهو يتساعل في انفعال :

- أتعنى أن ...

لم يحاول إتمام عبارته ، فتابع النائب بمنتهى الحزم :

- نعم يا سيادة الوزير .. لابد من إصدار قرار بإحالة العميد (أدهم صبرى) إلى الاستقداع فوراً ..

والتقى حاجبا المدير في شدة ..

فقد كان هذا ، من وجهة نظره ، أخطر قرار يمكن أن يتخذه ،
في تلك الفترة العصيبة ..

أخطرها .. على الإطلاق ..

بدأت وزيرة الخارجية الأمريكية السمراء يومها ، صارمة
قاسية كالمعتاد ، ولم تحمل ملامحها خلجة ارتياح واحدة ، وهي
تدخل مكتبها ، وتبدأ يومها بمراجعة التقارير ، الواردة من
(العراق) و (أفغانستان) ، وتلخيصها ؛ لتقديم ملخصاتها إلى
الرئيس الأمريكي ، الذي اعتاد الاكتفاء بما تقدمه له ، دون
الخوض في التفاصيل ..

كانت طبيعتها المريضة تسعد بكل خبر ، عن مصرع أى عدد
من العرب ، في الدولتين المحتلتين ..

أو حتى في أية بقعة من بقاع الأرض ..

وفي الوقت ذاته ، كانت تشعر بكل القضب ، إذا ما طلعها
تقرير عن إصابة جندي أمريكي واحد ..

كانت الحرب بالنسبة إليها قتالاً من طرف واحد ..

أو بمعنى أدق ، قتالاً من طرف واحد ..

كانت كأي مستعمر غاصب ، ترى أنه من حقها أن تقتل
الخصم وتقتله ، وليس من حقها حتى أن يدافع عن حريته أو
كرامته ، أو حقها في الحياة ..

مقاومة الاحتلال ، كانت بالنسبة إليها إرهاباً ..

العرب مجرد حشرات ..

أرضهم مراعى ومخازن بترول للغرب ..

وفي أعماق أعماقها ، تمنى لو أن القوات الأمريكية لم تكتف
باحتلال (العراق) وحدها ..

كانت تمنى لو تجد مبرراً واحداً ؛ ليمتد الاحتلال إلى
(سوريا) ..

(لبنان) ..

(إيران) ..

و(مصر) ..

و

ارتفع رنين هاتفها الخاص بقة لينتزعها من أحلامها الاستعمارية التوسعية ، فانتفض عقلها قبل جسدها ، وهي تلتقط الهاتف من جيبيها ، وتلقى نظرة عصبية على شاشته ، قبل أن يسقط قلبها بين قدميها ..

كانت شاشة خالية ، لا تحمل بيانات المتصل ..

ولأن هاتفها من طراز خاص مؤمن ، فقد أدركت على الفور من يمكن أن يكون على الطرف الآخر ..

وبعصبية أكثر ، ضغطت زر الاتصال ، قائلة :

- أهو أنت ؟ في هذه الساعة المبكرة ؟

أتاها صوت الزعيمة الساخر ، وهي تقول :

- نعم .. هو أنا يا سمرقي خشيت أن أتوقف عن الاتصال بك طويلاً ، فتشتاقين إلي كثيراً .

كظمت وزيرة الخارجية غيظها في صغوبة ، وهي تسألها :

- ماذا تريدن بالضبط ؟

أجابتها الزعيمة في سرعة :

- هدية .

ارتفع حاجبا الأمريكية ، وهي تقول في دهشة :

- تريدن هدية ؟

أطلقت الزعيمة ضحكة عابثة طويلة ، قبل أن تقول :

- ومن منا يرفضها يا عزيزتي ؟ ولكنني في الواقع أحمل لك هدية .

سألنها في حذر :

- أية هدية ؟

صمتت الزعيمة لحظات ؛ لتضفي لمحة من التشويق على روايتها ، قبل أن تقول :

- ما معلوماتك عن شركة (أميجو) للإلكترونيات ؟!

تضاعف حذر وزيرة الخارجية ، وهي تجيب :

- ماذا عنها ؟! إنها شركة كبيرة ومحترمة . نحن نعتمد عليها في توريد وتطوير الشرائح الإلكترونية المتطورة ، و

قاطعتها الزعيمة بضحكة عابثة ساخرة ، جطلتها تعقد حلجبتها في غضب شديد ، قليلة :

- لو أن لديك شيئاً بشأنها ، فعليك إخباري فوراً ، أو اصمتي إلى الأبد .

صمتت الزعيمة لحظة تشويقية أخرى ، ثم قالت في حزم مفاجئ :

- يمكنك أن تصحى اسمها في ملفاتكم إن ، إلى شركة (أميجو) للإرهاب .

لم تكذ وزيرة الخارجية تسمع المصطلح الأخير ، حتى تنفض جسدها كله في عنف ، وهتفت :

- إرهاب ؟!

أجابتها الزعيمة بصوت عميق :

- نعم يا سمراي .. لو راجعت كل ملفاتكم ، فستجدون أن تلك الشركة مملوكة لمليونير أمريكي من أصل مكسيكي ، يدعى (أميجو هاندو) .

غمقت وزيرة الخارجية في التفعال :

- هذا صحيح .

ازداد صوت الزعيمة عمقا ، وهي تقول ، في سخرية واضحة :

- أخبري جهات مخابراتكم إن أنكم فاشلون ، وأن هذا سر تفوقى عليكم .

سألتها الأمريكية في عصبية :

- ماذا تعنين ؟!

أجابتها في سخرية أكثر :

- طلعى تلك الملف ، الذى سأرسله الآن إلى بريدك الإلكتروني

المرى ، وبعدها يمكننا أن نتحدث ثانية .

قالتها ، وأنهت الاتصال دفعة واحدة ، فتجمدت يد وزيرة الخارجية لحظة على هاتفها ، ثم لم تلبث أن ألقت هاتفها ، واستدارت تضغط أزرار الكمبيوتر ، وتطلع بريدها الإلكتروني ..
السري ..

كانت قد اعتادت هذا من الزعيمة ، فلم تتساعل لحظة ، كيف عرفت بريدها الخاص ..

كل ما كان يشغل ذهنها ، هو إزال ذلك الملف ، المرفق بالبريد الإلكتروني ..

ومطالعته ..

ولقد فعلت ..

واتسعت عينها عن آخرهما ، مع هول ما تطالعته ..

ولم يسقط قلبها بين قدميها هذه المرة ..

نقد تمزق في أعماق أعماق صدرها ..

وبمنتهى العنف ..

« أدهم صبرى !؟ »

انتفض جسد الرئيس الأمريكى فى عنف ، وهو يهتف بالاسم ، محدقاً فى وجه وزيرة خارجيته ، فى حين بدا وزير دفاعه شديد العصبية ، وهو يقول فى حدة :

- مستحيل ! أنا أعرف (أميجو صائدو) جيداً ، والتقيت به مرتين على الأقل ، وهو لا يشبه حتى (صبرى) هذا .

أجابته وزيرة الخارجية ، فى صرامة لا تقل عنه عصبية :

- أنت تعلم جيداً أن خصمنا ليس بالشخص العادى ، وأنه عبقرى فى فن التنكر ، إلى حد يجعله قادراً على خداعك ، لو تنكر فى هيلتك أنت شخصياً ..

غمغم وزير الدفاع :

- ليس إلى هذا الحد .

أجابته مدير المخابرات الأمريكية ، فى صرامة متوترة :

- بل إلى ما يفوق هذا الحد ، كما تؤكد سجلاتنا .

صاحت به وزيرة الخارجية في غضب ، وكأنا تفرغ فيه
شحنة انفعالاتها المكبوتة :

- سجلاتكم الفاشلة ، التي سمحت لإرهابي بأن يكون أحد
الممولين الرئيسيين ، للتكنولوجيا الرقمية ، لجيش الولايات
المتحدة .

انتفض مدير المخابرات ، قائلًا :

- كل التحريات الخاصة بالسنيور (أميجو) وشركته ، تمت في
عهد سلفي ، وليس في عهدي أنا ، ولكنها تبدو لي دقيقة للغاية ،
و ...

قاطعه في حدة :

- وماذا ؟! ألم تقرأ ذلك الملف أمامك ؟

هم مدير المخابرات بالتصياح في وجهها ، ولكن الرئيس
الأمريكي استوقفه في صرامة ، قائلًا :

- كفى .

التفت إليه ثلاثهم ، فواصل :

- الوقت لا يكفي للفرق في هذه النقطة .. دعونا نتجاوزها
إلى السؤال الأهم : ما الذي سنفعله في هذا الشأن ؟
قالت وزيرة الخارجية ، في شيء من الحدة :

- ياله من سؤال !

رمقها وزير الدفاع بنظرة صارمة ، وتحنج وهو يعدل
منظاره فوق أنفه ، قبل أن يقول :

- للواقع أنه لدينا سلسلة واضحة من الإجراءات ، بإفخامة
الرئيس ، بشأن الهيئات أو الشركات ، التي ثبت تورطها في دعم
أو تمويل الإرهاب .

بدا الرئيس منتبهاً لحديثه ، فأضاف مدير المخابرات :

- نحن أيضاً لدينا سلسلة إجراءات ممثلة ، ولكنها أكثر سرعة
وحسمًا ، ولكن ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، فسأله الرئيس في عصبية :

- ولكن ماذا ؟!

- ولكنني أرى ضرورة التروى .

أجاب في سرعة :

هتفت وزيرة الخارجية مستكبرة :

- للتروى ؟!

أشار بسبائته ، قللاً في توتر :

- بالتأكيد .. شركة (أميجو) شركة كبرى ، وكنا حتى لحظت ،
نعتبرها وصاحبها أهلاً للثقة ، وعندما تصلنا بشتاتها معلومات
مفاجئة ، من مصدر لا يمكننا منحه ثقتنا الكاملة ، فلا بد وأن
نتيقن مما لدينا أولاً ، قبل أن نندفع للقيام بعمل ، قد ننجم عليه
قبما بعد .

احتقن وجه وزيرة الخارجية ، وهي تقول في حدة :

- تتيقن مما لديك ؟! إنه ملف كامل موثق بإرجل .. أضف إليه
أن (أميجو) هذا قد اجتمع بقيادة قسم التحريك في شركته صباح
اليوم ، وطلب منهم جمع كل التحريات الممكنة ، عن جهة تحتفظ
بأربعة من المصريين ، تنطبق أوصافهم على أوصاف رفائى

(أدهم صبرى) الأربعة ، فذین تصور أنهم قد لقبوا
مصرعهم(*) ، ثم كشف وجودهم على قيد الحياة ، هنا فى
أرضنا(**) .. أى دليل تحتاج أكثر من هذا ، لتتيقن من أنه
(أدهم صبرى) شخصياً .

تركزت الأنظار كلها على وجه مدير المخابرات ، وهو يستمع
إليها فى اهتمام ، قبل أن يصفم :

- هذا لا يتفق مع ...

قاطعته الرئيس الأمريكى هذه المرة ، بمنتهى الصرامة :

- اتخذ إجراءاتك .. فوراً .

تطلع إليه مدير المخابرات فى قلق ، وتساؤل فى حذر :

- مهما كانت العواقب ؟!

اعتدل الرئيس الأمريكى على مقعده ، والنقطة نفساً عميقاً ،

قبل أن يقول بمنتهى الحزم :

(*) راجع قصة (النهاية) المفسرة رقم (150) .

(**) راجع قصة (الحرب) ... المفسرة رقم (154) .

- مهما كانت العواقب .

ران على المكتب البيضاوى صمت رهيب مهيب ، بعد عبارة الرئيس الأخيرة ، ثم لم يلبث مدير المخابرات أن قطعه ، وهو يقول فى توتر :

- أريد أمراً رسمياً بهذا .

بدا القلق بضع لحظات ، على وجوه الرئيس ، ووزيرى دفاعه وخارجيته ، قبل أن يلتفت الرئيس إلى وزير الدفاع ، قللاً فى حزم :

- هل تحتاج أنت أيضاً إلى أمر رسمى ؟

تتحنن وزير الدفاع ، وشد قامته ، وهو بحيب :

- كلا يا فخامة الرئيس .

التقط الرئيس نفساً عميقاً آخر ، وهو يقول ، بمنتهى الحزم والصرامة :

- نفذ إذن .

وخفق قلب مدير المخابرات ..

فى قوة ..

من خلف تلك النافذة الكبيرة . فى الطابق الأربعين ، وقف الرجل يتطلع إلى قرص الشمس . وهو يغوص خلف نائحات السحاب الهائلة ، فى (نيويورك) .. كان يقف فى صمت تام ، لفترة طويلة للغاية ، حتى أن المدير الإدارى (أنزيو) ، والسكرتيرة (لورا) ، شعرا بالقلق ، وتجرات الثانية ، لتهمس فى شيء من الحذر :

- هل سننصرف يا سنيور (أميجو) ؟

لدقيقة كاملة . خيل إليها أن الرجل لم يسمع حرفاً واحداً مما قالتته . حتى أنها فكرت فى تكرار سؤالها ، لولا أن أجاب فى خفوت :

- ليس بعد .

لم تدرك ، لماذا اتهمك إلى هذا الحد ، في مراقبة غروب الشمس ، وكأنما يشهد آخر غروب ، في حياته كلها ..

أو لعله لم يكن يتطلع إليها على الإطلاق ..

ربما كان شاردًا ..

يفكر ..

أو يتذكر ..

ربما ..

المهم أن صمته قد طال بعدها لخمس دقائق إضافية ، فقد (أنزيو) صبره بعدها فاضم :

- هل من تعليمات للفد يا منيور ؟!

ولم يلتفت إليه الرجل ..

ولكنه شعر أنه قد ابتسم ..

وربما في سخرية ..

لم يدرك ، لماذا راوده هذا الشعور ، إلا أنه سيطر على كيانه كله ، قبل حتى أن يسمع لهجة الرجل الساخرة ، وهو يقول :

- الفد ؟!

وصمت لحظة أخرى ، ثم التفت إلى (أنزيو) و (لورا) ، مردفًا :

- ومذا لو لم يكن هناك غد ؟!

انتفضت (لورا) للعبارة ، وتساءلت في قلب شديد :

- ولماذا تقول هذا يا منيور ؟!

لم يكن تساؤلها هذا قد اكتمل تمامًا ، عندما انفتحت أبواب الجحيم كلها فجأة ..

وعلى مصراعها ..

فنون سابق إنداز ، تحطم زجاج النافذة الجانبية ، بقبلة بخان ، انفجرت فور ملامستها الأرض ..

ثم تم الاقتحام ، من كل المنافذ في آن واحد ..

متسلقون بحبال قوية ، هبطوا من سقف المبنى ، ليقتحموا
نوافذه بمنتهى الخنف ..

رتاج الباب الرئيسي تفجّر ، برصاصات مدفع آلى
قوى ..

جيش من الجنود الأمريكيين اقتحم الطابق ..

الكل يرتدى ألقعة واقية من الغاز ..

الرصاصات اتهمرت كال مطر ، على سقف الحجرة ..

وفي رعب هائل ، صرخت (لورا) :

- ماذا حدث ؟! هل اشتعلت للحرب ؟!

صرخ (أنزيو) ، وهو يصعل في قوة ، ويعدو محاولاً الفرار ،

وسط سحب الدخان :

- بل هو هجوم إرهابي .. النجدة .. النجدة ..

أخرسته ضربة قوية ، من كعب مدفع آلى ، اقتزعت من مكانه ،
ولقّت به أرضاً في عنف ..

وعندما حاول النهوض ، كان حذاء جندي أمريكي ثقيل ، يجرثم
على صدره ، ويكاد يزهي أنفاسه ..

وكانت هناك فوهة مدفع آلى قوى ، مصوَّبة إلى رأسه
مباشرة .. ومع شهقة الرعب التي أطلقها ، ومن بين سحب
الدخان ، شاهد فريقاً من الجنود ينقض على رئيسه ..

على (أميجو) ..

وبكل رعب صرخ :

- احترس يا متيور .

أخرسته ضربة أخرى ، من حذاء الجندي ، أفقنته الوعي
على الفور ..

لما (أميجو) نفسه ، فلم يتحرك من مكانه ..

لقد عقد كفيه خلف ظهره ، ووقف في حزم ، والجنود يلتفون حوله ، الكثافة السوار بالمعصم ، ويصوبون إليه قوّهات مدافعهم الآلية القوية ، في دائرة رهبة ..

دائرة موت ..

كاملة ..

3- الأسير ..

« الأمريكيون ألقوا القبض عليه .. »

نطقت (نيا) العبارة في جنل ، وهي تقف أمام الزعيمة ، التي نفثت دخان سيجارتها الرفيعة في قوة ، قبل أن تجيب :

- أعلم هذا .

نطقها في عصبية ، جعلت (نيا) تحلق فيها بدهشة ، متسائلة :

- أزعجك الخبر ؟

صمتت الزعيمة بضع لحظات ، وهي تنفث دخان سيجارتها ، قبل أن تجيب ، في عصبية أكثر :

- بل يحيرنى .

غمضت (نيا) في دهشة :

- يحيرك ؟ ولماذا ؟

تعقد حاجبا الزعيمة ، وهي تجيب :

- البساطة التي تم بها الأمر .. إنا نتحدث عن رجل لم يعد قط الاستسلام لمهاجميه ، حتى لو واجه جيشا جرارا بمفرده ، ولديه

سرعة بديهة وسعة حيلة ، تجطه قلدرًا على تحويل دفة القتال لصالحه ، مهما لختل ميزان القوة ، فلماذا استسلم هذه قمرة ؟! لماذا ؟!

أجابتها (تيا) في حذر :

- إننا نتحدث عن هجوم قامت به فرقة مكافحة إرهاب كاملة .

ضد رجل واحد .

ثم مالت نحوها ، مضيفة ، بنهجة ذات معنى خاص :

- رجل أعزل .

تطلعت إليها الزعيمة بضع لحظات بنظرة خالوية ، قبل أن

تنفث دخان سيجارتها في وجهها ، وتقول في حزم :

- هذا لا يصنع قارقًا .

حدقت فيها (تيا) في دهشة ، قبل أن تتراجع ، قائلة في حيرة

واضحة :

- يبدو أنك ترين ما لا أراه أيتها الزعيمة .

غمفت الزعيمة في حزم :

- هذا أمر طبيعي .

ثم اعتذلت ، مضيفة في حزم :

- أريد متابعة التحقيقات الأمريكية في هذا الشأن .. أريد أننا وعينا في قلب إدارة تحقيقاتهم السرية .

قالت (تيا) ، في سرعة وحزم :

- علم وينفذ .

تحركت في سرعة لتنفيذ الأمر ، ثم توقفت ، والتفتت إلى

زعيمتها ، متسائلة في حذر :

- هل ترغبين في التخلص من ذلك المصري هناك ؟! ما دام

في قبضتهم ، يمكننا أن ندفع أحدهم إلى ...

قاطعتها الزعيمة في حزم :

- كلا .. لا أريدكم أن يمسوه بسوء .

ارتفع حاجبا (تيا) ، وهي تقول في دهشة :

- تصورت لك قبضينه بشدة ، و

لم تستطع إتمام عبارتها ..

أو أنها لم تحاول هذا ..

وفي بطاء ، نفثت الزعيمة دخان سيجارتها ، وهي مستغرقة

في التفكير بضع لحظات ، قبل أن تهز كتفها ، قائلة :

- لمست أبغضه بالتأكيد .

ثم مالت إلى الأمام ، مستطردة في صرامة .

- ولكنني لن أسمح له بالتفوق .. أبدا ..

ولم تعلق (نيا) هذه المرة ..

لقد استوعبت تلك المشاعر المعقدة ..

جيدا ..

بدا وزير الدفاع الأمريكي شديد التوتر ، وهو يدخل إلى تلك الحجرة الصغيرة ، الخالية من الأثاث ، إلا من منضدة ومقعدتين من الخشب ، جلس على أحدهما سنيور (أميجو) ، وخلفه اثنان من الجنود الأمريكيين ، يصوبان مدفعيهما إلى رأسه مباشرة ..

وعلى الرغم من هذا ، كان الرجل هائلا ، متمسكا ، يعقد ساعديه للقويين أمام صدره في حزم لظن واضح من كل ملامحه ، على عكس وزير الدفاع ، الذي يرأس كل تلك القوات ، والذي بدا مرتجفا ، مفتقرا إلى الثقة بالنفس ، وهو يجلس على المقعد الخشبي المواجه للرجل عبر المنضدة ، قتلا :

- سنيور (أميجو) .

تطلع إليه الرجل بنظرة قوية ، وهو يسأله ، في صوت متمسك :

- هل لي أن أفهم معنى كل ما حدث ؟! لقد هاجمت شركتي ، وأسأت إلى سمعتها وسمعتي ، وعرضت حياتي ، وحياة عدد من موظفي شركتي للخطر ، فلا بد من وجود سبب قوي للغاية ، يبرر هذا .. أمام الرأي العام ورجال الإعلام والصحافة على الأقل ..

أثار ذكر الإعلام والصحافة توتر وزير الدفاع الأمريكي أكثر ، فتراجع في مقعده الخشبي ، وتطلع إلى (أميجو) ، بكل الحيرة والانفعال ..

لم يكن يشبه (آدم صبري) ، بأي حال من الأحوال ..

ربما يشترك معه في قوة البنية ، وطول القامة ، إلا أنه يختلف عنه ، في كل ما عدا هذا من ملامح ..

فالسنيور (أميجو) أشيب الشعر ، يميل إلى الصلع ، في مقدمة رأسه ، وله شارب كث ، وطابع حسن في منتصف ذقنه ، و

ولكن (آدم) خبير في التنكر ..

بل هو عبقري في تلك المضمار ..

وكل هذا يمكن فعله ..

الشعر ..

الصلع ..

الشارب ..

وحتى لون العينين ..

كل هذا ..

ولكن ماذا عن تلك الثقة الشديدة ، التي يتحدث بها ؟!

« من أنت بالضبط ؟! »

لقى وزير الدفاع السؤال في عصبية مفلجنة ، فقطع إليه (أميجو) في سخرية ، مجيباً :

- (أميجو صاندو) .. هل نسيتى يا سيادة وزير الدفاع ، أم أنك تختبر معلوماتى ؟!

شعر وزير الدفاع بالحنق ؛ لسخرية الرجل منه ، فسأله في حدة وصرامة :

- وما الذى يثبت هذا ؟!

فوجئ بضحكة ساخرة طويلة ، أطلقها (أميجو) هذا ، قبل أن يجيب فى تهكم :

- إنها المرة الأولى ، التى تطلبنى فيها جهة رسمية ، بإثبات حقيقة هويتى ، ولكننى اعتقد أن هويتى غير القابلة للتزوير ، ورخصة القيادة أيضاً ، مع هيتى المشابهة لصورتى فىهما ، كلها تؤكد لىنى (أميجو صاندو) .

قال للوزير فى خشونة :

- هذا لا يكفى .

تطلع إليه (أميجو) بضع لحظات فى صمت ، ثم مال نحوه ، متمسكاً فى ضجر :

- ما الذى يكفى إذن ؟!

التقط وزير الدفاع الأمريكى نفساً عميقاً ، وحاول أن يبدو متمسكاً قوياً ، وهو يجيب :

- سنفحص وجهك بالأشعة فوق البنفسجية ، ونحصل على عينة من دمك ، ومن حمضك النووى ، و

قطعته (أميجو) فى دهشة :

- ولماذا كل هذا ؟!

اتعتقد حاجبا الوزير في شدة ، وهو يجيب :

- لأننا مستعدون لفعل أى شيء في الوجود ، لنحمي (أمريكا)
من الإرهاب .

اعتقل (أميجو) ، قتلًا في حزم :

- وأى تجاوز .. ليس كذلك ؟!

ازداد اعتقاد حاجبي الوزير ، وهو يقول :

- بلى .. وأى تجاوز .. أيا كان ..

ران عليهما صمت متحد بضع لحظات ، قبل أن يمد (أميجو)
نراعه إلى الوزير ، قتلًا :

- افعل ما شئت إنن .

قالها ، وهو يدرك أن نتائج تلك الاختبارات ، ستحسم أمورًا
كثيرة .

وخطيرة ..

إلى أقصى حد ..

« لست أفهم ما يحدث .. »

نطق نائب مدير المخابرات المصرية العبارة في حذر شديد ،
جعل المدير يتنسم ، قتلًا :

- ما الذى لم تفهمه بالضبط ؟!

أشار الرجل بيده ، قتلًا ، في لهجة عجز عن كتمان توترها :

- كل ما يحدث منذ البداية .

تطلع إليه المدير باهتمامه في صمت ، وتكأ على مسند مقعده ،
وهو يسأله في هدوء :

- ولماذا ؟!

حار الرجل بضع لحظات في الجواب ، ثم لم يلبث أن اندفع ،
قتلًا :

- كنا كنا نطمح أن الصيد (لهم) سيسمى حتمًا ؛ لاستعادة (منى)
(قدرى) ، وتلميذيه (شريف) و (ريهام) ، وأنه لا مفر له من
الولوج إلى وكر الذئاب ، في قلب الولايات المتحدة الأمريكية ؛ للبحث
عنهم ، ولكننا تصورنا أنه ، مع خبرته الطويلة ، وفكرته المدهشة ،
سيفعل هذا بوسيلة عبقرية ومستترة ، وسيثير جنون الجميع هناك ،
كما اعتاد أن يفعل .

أدهشه أن اتسعت ابتسامة المدير ، وهو يقول :

- ثم ؟

تابع الرجل ، فى شيء من الانفعال ، حاول كتمته ، باعتباره رجل مخابرات محترفاً :

- ثم حدث العكس تماماً .. السيد (لدهم) بدأ المعركة بأوراق مكشوفة ، فى الوقت الذى تتعامل فيه (أمريكا) كلها بحساسية مفرطة ، تجاه كل ما هو عربى ، وأثار انتباه وتوتر الجميع ، ودفعهم إلى الهجوم على الشركة ، التى كانت أفضل مراكزنا الغربية ، لسنوات وسنوات .

أشار للمدير بسبائته ، قاتلاً :

- لاحظ أنه هو الذى أنشأ تلك الشركة ، والتى جاهد ليصنع منها ما أصبحت عليه ، دون أن يربح منها قرشاً واحداً .

قال الرجل فى سرعة :

- هذا لا يمنحه الحق فى هدمها وتدميرها .. لشركة أصبحت ملكاً لـ (مصر) ، ومصالحاتها وحدها ينبغى أن تحكم هذا .

وافق المدير بإيماءة من رأسه ، قبل أن يقول :

- أنت على حق .

ثم اعتدل ، مكملاً فى اهتمامه :

- ولكن التقرير الأخيرة كتبت تشير إلى أن تلك الزعيمة الغلمضة تجمع التحريات ، حول شركة (أميجو) للإلكترونيات ، منذ فترة ليست بالقصيرة ، وهذا يعنى أن الكيان كان مهدداً بكشف سره ، إن عاجلاً أو آجلاً .

مال الرجل نحو المدير ، قاتلاً :

- وهل يمنحه هذا الحق فيما فعل ؟

تطلع المدير إلى عينيه بضع لحظات ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، قاتلاً فى هدوء :

- وما الذى فعله ؟

اعتدل للرجل بحركة حادة ، وامتلأت ملامحه بالدهشة ، وهو يحدث فى المدير ، قبل أن يقول :

- سيدى .. من الواضح أنه هناك ما تجهنه فى هذا الشأن .

هز المدير كتفيه ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، قاتلاً :

- لست أعرف عن (ن - 1) أكثر مما تعرفونه .

وصمت لحظة ، وقف خلالها أمام النافذة ، قبل أن يضيف ، دون أن يلتفت إلى نائبه :

- وما أعرفه بكفيني ، لكي أتيقن من أمر واحد لاختلاف عليه .

طال صمته لدقيقة كاملة ، شعر نائبه خلالها بفضول يلتهم أعصابه ، قبل أن يضيف في حزم :

- إن (ن - 1) ليس ساذجاً أو بسيطاً .

هتف النائب :

- ما الذي فعله إذن ؟!

أجاب المدير بسرعة :

- منورة ؟!

ردّ النائب في دهشة :

- منورة ؟!

أوما المدير برأسه إيجاباً ، والتفت إليه ، مجيباً في حزم :

- نعم .. منورة عبقرية .. منورة فعل غيرها ما يفعله دوماً .. أن

يدفع خصومه إلى إتيان ما يريد ، وما يخدم خطته ، وهم يتصورون أنهم يتحركون بإرادتهم الحرة .. إنه يعلم أنهم سينتظرونه بتحفظ هناك ، في الولايات المتحدة الأمريكية ، وأنهم سينقضون عليه فور الاشتباه في أمره ، ولاريب عندي في أنه قد وضع هذا في حسبه .

وهضمت لحظة ، ثم أضاف مبتسماً :

- وفي خطته .

تساءل النائب في اهتمام ، وقد بدأ يلهث ، من فرط ما سرى في عروقه من القتل :

- وما الذي تعتمد عليه خطته بالضبط ؟!

أجاب المدير في سرعة :

- على كل اعتمدت عليه خطته دوماً .

وعاد يتطلع عبر النافذة ، مضيقاً بكل الحزم :

- للصدمة .

وانتفض نائب المدير ..

انتفض بكل انفعاله ..

وكل دهشته ..

على الرغم من سيطرتهم الكاملة على الموقف ، بدأ أعضاء إدارة الرئيس الأمريكي شديدي التوتر ، عندما اجتمعوا في المكتب البيضاوي ، في منتصف الليل ، بتوقيت العاصمة (واشنطن) ..

كان مدير المخابرات عصبى للغاية ، وهو يشير بيده قاتلاً :

- هذا ما كنت أخشاه .. الفحام أحمق ، اعتمد على القوة ،
بأكثر مما اعتمد على الذكاء أو الحنكة .. عمل يفقر تماماً إلى
أى حس سياسى أو إعلامى .

عدل وزير الدفاع منظاره فوق أنفه ، وهو يقول فى عصبية :

- لا مجال للسياسة فى مثل هذه الأمور .. إننا نواجه تنظيمًا
إرهابيًا .. كيف تتطلب منا أن نواجهه دون قوة باطشة ؟!

هتف مدير المخابرات :

- انت قلتها .. قوة باطشة .. غبية .. متفترسة .. قوة أرادت
أن تثبت تفوقها ، دون أن يضع فى اعتبارها احتمالاً واحداً . أن
تكون على خطأ .

قالت وزيرة الخارجية فى حدة :

- لا يوجد احتمال واحد .

هتف مدير المخابرات :

- ولا يوجد مبرر واحد أيضاً لما حدث .

احتقن وجهها ، وهى تقول فى غضب :

- هل تعتقد هذا ؟!

لوح بثرأعه فى حدة ، هاتفاً :

- اعتقلى لا قيمة له ، فوسائل الإعلام كلها لديها معتقدات
أخرى . إنهم يتحدثون عن منافسة مالية ، كانت وراء ما حدث
فى شركة (أميجو) .. إنهم يتهمونك شخصياً يا وزير الدفاع .

انتفض جسد الوزير فى غضب ، وهو بهتف :

- أنا ؟!

أجابه مدير المخابرات فى غضب :

- نعم .. أنت أيها الوزير .. الكل يعرف علاقتك بتلك الشركات
المنافسة ، التى تسعى طوال الوقت لهدم شركة (أميجو) ، لتحل
محلها ، كمورد رئيسى لوزارة الدفاع ، وفضيحة شركة (أترون) ،
ما زالت تزكم الأنوف ، حتى يومنا هذا ، و

قاطعه الرئيس فى عصبية :

- كفى .. الصحافة لا يمكن أن تقفز إلى هذا .

قال مدير المخابرات فى حنى :

- لقد ففزت بالفعل .

ثم أدار عينيه إلى الرئيس الأمريكى ، مضيقاً :

- وفقرتها وصلت إليك يا سيدى .

جاء دور الرئيس ، لينتفض بمنتهى العنف ، هاتفًا :

- أنا ؟! مستحيل !

عصت وزيرة الخارجية شفقتها غيظًا ، وهى تقول :

- لى (أمريكا) ، لا يوجد مستحيل !

اتسعت عينا الرئيس ، وهو يحثق فيها بهلع ، فأضافت فى صرامة ، امتزجت بعصبيتها :

- ولكننا نستطيع إخماس كل الأكسنة .

سألها الرئيس الأمريكى فى لهفة :

- وكيف هذا ؟!

أجابت بمنتهى الصرامة :

- بالحقائق .

تطلع إليها الكل فى تساؤل ، فأردفت ، وهى تبذل جهدًا يفوق المألوف ، لتبدو أمام ثلاثتهم قوية متماسكة :

- عندما تظهر التنتج ، ونثبت أن (أميجو) هذا ليس مكسيكيًا ، وأنه عربى ينتحل هوية مكسيكية ، سيسهل علينا بعدها إقناع الرأى العام بتورط شركته فى أعمال مموكة للإرهاب .

هتف وزير الدفاع ، وكلما تعلق بكلماتها :

- وعندئذ ، سيرون ما فعلناه بها على نحو مختلف تمامًا .

أضافت وزيرة الخارجية فى عصبية :

- نعم .. سنصبح فى نظرهم أبطالاً .

غمغم الرئيس فى لهفة :

- حقًا ؟!

أطلق مدير المخابرات زفرة ملتبهة ، من أعماق أعماق صدره ، قبل أن يقول فى توتر :

- كم أتمنى لو أتنى أمتلك نصف تفاؤلكم ، ولكننى فى الواقع لرى الصورة على نحو مختلف تمامًا .

سأله الرئيس ، فى حذر قلق :

- ما الذى تراه بالضبط ؟!

صمت مدير المخابرات لحظة ، لأدار خلالها عينيه فى وجوه ثلاثتهم ، قبل أن يجيب فى حزم صارم :

- كارثة .

اتخذ حاجبا ووزارة الخارجية في غضب ، وعدل وزير الدفاع
منظاره في عصبية ، في حين غمغم الرئيس ، بكل توتر الدنيا :
- كارثة !؟

أجاب مدير المخابرات ، في حزم متوتر :

- بالتاكيد ، فكل خبراتي تؤكد أن خصمنا ليس بالسذاجة التي
تتصورونها .

قالت وزيرة الخارجية في حدة :

- لقد باغتناه .

هتف مدير المخابرات :

- هيهات .. منات من المحترفين تصوروا هذا ، وحلموا به .
واقنعوا بضع لحظات ، أو حتى عدة أيام ، إنهم قد نجحوا في
هذا ، إلا أن أحدهم لم ينعم بالانتصار عليه قط .

قال وزير الدفاع في حدة :

- إنه مجرد بشر .

لوح مدير المخابرات بشراعه ، قائلا :

- ولكنه كسر آلاف عمالقة ، وحطم منظمات وأنظمة هائلة ،
تصورت كلها أنه مجرد فرد واحد ، يمكنها أن تجدد أنفه
بسيابتها ، فدفن هو كيتلتها كلها في التراب ، وبقي ليصق
عليها أيضا .

هتفت وزيرة الخارجية هذه المرة :

- كفى .

هم الرئيس بقول شيء ما ، لولا أن ارتفع رنين الهاتف الخاص
بوزير الدفاع ، فالتقطه من جيبه في سرعة ، ورفع إلى أذنه ،
وعيونهم كلها تتطلع إليه ، مع نبضات عنيفة صرخت بها قلوبهم ..

ولم ينطق الوزير حرفا واحدا ..

فقط استمع .

وشحب ..

واستمع ..

ثم أنهى المحادثة ، وهو يرفع إليهم عينين زائفتين ، قائلا في
صوت متحشرج مختلق :

- إنه ليس (لاهم صبرى) .

وشهقت وزيرة الخارجية بمنتهى العنف ..

لقد كان مدير المخابرات الأمريكى على حق ..

إنها كارثة ..

بكل المقاييس .

4- اللعبة ..

« مازلت لا أفهم اللعبة ! »

هتف نائب مدير المخابرات المصرية بالعبارة فى قبهار كامل ، وهو يقف أمام المدير ، فى تلك الساعة المبكرة ، من صباح اليوم التالى ، بتوقيت (القاهرة)^(*) ، فابتسم هذا الأخير ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- من الجيد أن تعرف بأنها لعبة ماهرة .

قال الرجل فى انفعال :

- ولكننا جميعاً تجهل مغزاها .. لماذا تعدد الصيد (أدهم) جنب الأنظار كلها إلى شركتنا ، ثم وضع بدينه ، الذى دربناه طويلاً فى المواجهة ؟

هز المدير كتفيه ، قائلاً :

- الأمر يبدو لى واضحاً للغاية !

ضلقت عينا النائب ، وهو يقول :

(*) وفقاً لخطوط الطول الجغرافية ، يسبق التوقيت فى (القاهرة) (واشنطن) .

بمعنى مدغلت كلمة

- إننا نفهم لعبة الشد والجذب هذه ؛ فبعد الفضيحة الكبرى .
لتي ستعرض لها الإدارة الأمريكية ، لن يجزئ أحد على الشك في
هوية الشركة ، أي أنه ، بلعبة الجذب ، ثم إثبات الخطأ ، ثبت أقدم
شركة (أميجو) ، سواء في وزارة الدفاع الأمريكية ، أو عبر قرأى
العام كله .

أشار المدير بسبائته ، قللاً :

- ليس هذا فحسب ، وإنما أكد ليضاً ، عبر الفحوص التي
أجرتها الإدارة الأمريكية ، بأحدث التقنيات وأدقها ، أن سنير
(أميجو صائدو) لا يمكن أن يكون (إدم صبرى) .

أوما النائب برأسه موافقاً ، قبل أن يقول :

- كل هذا لأمر رائع ، ولكن السؤال هو : لماذا ؟!

عاد المدير بشير بسبائته ، وهو يقول في حزم :

- هذه هي اللعبة بالضبط .

ثم مال إلى الأسفل ، مضيقاً :

- التساؤل والحيرة .

قالتا ، وأطلق ضحكة إعجاب قصيرة ، ثم عاد يتراجع في
مكتبه ، ويضيف في استمتاع :

- ولنا افترض أن تقوموا بتسجيل ودراسة هذه الخطوة هنا ،
للاستفادة من قواعدها مستقبلاً ، في ظروف مماثلة .
صمت النائب بضع لحظات مفكراً ، قبل أن تتلقى عيناه ، ويقول
في حماس :

- آه .. الآن استوعبت قاعدة اللعبة .

وتأملت على وجهه ابتسامة ، وهو يضيف :

- قاعدة الإرهاب .

وهنا ، اتسعت ابتسامة مدير المخابرات المصرية أكثر ..

ولكن ..

ولكن ..

لم تشعر (نيا) ، في حيلتها كلها بالدهشة ، مثلما شعرت بها
في تلك اللحظة ، لتي استقبلت فيها زعيمها الخبير ..

إنها لم تبد مصدومة بالنتيجة ، وكأنها كانت تتوقعها ..

ولكن شيئاً ما في كيانها ارتج ..

وبعنف ..

لقد استقبلت الخبر بنظرة خاوية ، وملامح جامدة ، وتراجعت في مقعدها في بطن شديد ، كعادتها كلما تشغل عقلها في فكرة شديدة العمق ..

وبقيت تلك السيجارة الرفيعة مشتعلة بين أصابعها ..

ظلت مشتعلة ، تحترق ..

وتحترق ..

وتحترق ..

حتى لامست أصابعها ..

عندئذ فقط ، انتفضت ..

واعتدلت ..

وصرخت ..

لم تحمل صرختها من الألم ، قدر ما حملته من الغضب ..

والثورة ..

والسخط ..

وبكل دهشتها ، وحيرتها ، وحزنها أيضاً ، غمغت (تيا) :

- أظنك كنت تتوقعين هذا .

ألفت الزعيمة بقايا سيجارتها بهذا في عنف ، وهي تقول في حدة واضحة :

- لم أشك فيه لحظة واحدة .

غمغت (تيا) :

- لماذا إذن ؟

التفت حاجبا الزعيمة ، في غضب هادر ، وبدت أصابعها مرتجفة ، وهي تشعل سيجارة جديدة ، قبل أن تقول في حدة :

- نعم .. هذا هو السؤال .. لماذا إذن ؟!

ثم نهضت من مقعدها بحركة حادة ، مكررة فيما يشبه الصراخ :

- لماذا إذن ؟!

ضغطت أزرار الكمبيوتر بحركة عصبية ، فقفزت إلى شاشته صورة (أدهم صبرى) ، وهي تواصل في عصبية :

- (أدهم) أدار اللعبة لهدف ما .. إنه لم يجذب الأنظار كلها إلى شركة (أميجو) دون طائل .. هناك حتما هدف ما ، خلف كل هذا ، فما هو ؟!

مرة أخرى ، نسيت تلك السجيرة المشتعلة بين أصابعها ،
وهي تصرخ :

- ما هو ؟!

تراجعت (تيا) خطوتين ، في دهشة عارمة ، وهي تحدث في
زعيمتها ، التي بدت عصبية ، على نحو لم تشهده من قبل قط ..
الزعيمة نفسها ، راحت تدور في المكان ، في عصبية بالغة ،
وهي تتوقف ، كل حين وآخر ، لتتطلع إلى صورة (أهم) ، في
مفت مدحش ، ثم تصرخ في حدة :

- ماذا تفعل بالضبط ؟!

تمتعت (تيا) ، محاولة تهدئة الموقف :

- ربما أراد تشتيت انتباهنا ، عن أمر آخر .

توقفت الزعيمة دفعة واحدة ، عند هذا القول ، واتسعت
عينها عن آخرها ، ثم التفت إلى (تيا) بحركة حادة ، جعلت
هذه الأخيرة تتراجع خطوتين أخريين ، وهي تقول مرتبكة :

- إنه مجرد اقتراح .

هتفت بها الزعيمة :

- بل هي فكرة .. فكرة عبقرية .

بدت شديدة الانفعال ، وهي تندفع نحو (تيا) ، وتمسك كتفيها ،
على نحو شهقت له هذه الأخيرة ، ثم تقول في حرارة :

- هذا ما كان يفعله بنا (أهم) بالضبط .. كان يشتت
انتباهنا .. يجذبنا جميعاً إلى منطقة بعيدة ، يبحث بعمل هو في
أمان ، في منطقة أخرى .

اتسعت عينا (تيا) ، في شيء من الهلع ، وهي تهتف :

- منطقة أخرى .

أدركت للزعيمة ما تعنيه على الفور ، فأمسكت زراعها في
قوة ، هتفة في تفاعل :

- هل تعتقدن أن

لم تتم هتافها وتساؤلها ، ولكن (تيا) أجابت في سرعة ،
لا تَقَلّ لفعلاً :

- هذا يتوقف على إجابة سؤال واحد .

وحمل صوتها كل توترها ، وهي تضيف :

- هل يمكن أن يتوصل ، إلى حيث أخفيهاهم ؟!

أسمعت عينا الزعيمة ، وهي تجيب :

- لن يدهشنى هذا .

تطلعت كل منهما إلى عيني الأخرى بضع لحظات ، قبل أن تتراجع الزعيمة بحركة حادة ، وهي تقول :

- ولكنه يفضبنى بشدة .

التفت (تيا) هاتفها المحمول فى سرعة ، وهي تقول فى توتر :

- سأؤكد من أنهم ..

استوقفتها الزعيمة فى صرامة :

- كلاً ..

ثم مالت نحوها ، مضيفة ، بلهجة أمرة صارمة .

- الاتصالات الهاتفية لا تصلح ، فى مثل هذه الأمور ، وخاصة مع رجل مثله ، يمتلك أكثر حنجرة مرونة فى التاريخ ، وحتى الاتصال المرنى لن يفيد ، مع عبقريته فى التكرار .

سألتها (تيا) ، فى فضول مبحوح :

- ماذا إذن ؟

أجابتها بكل صرامة :

- الاتصال المباشر .

لوهلة ، لم تفهم (تيا) ما تعنيه ، فتطلعت إليها فى شيء من الحيرة ، ولكن الزعيمة أضافت على الفور :

- لاذهبى بنفسك .. فوراً .

شدت (تيا) قامتها ، قائلة فى حزم :

- كما تأمرين يا زعيمتى .

قالتها ، واندفعت لتنفيذ الأمر ، فى حماس واضح ، ولكن الزعيمة استوقفتها ، قائلة فى حزم :

- (تيا) .. لا تذهبى وحدك . اصطحبى معك خمسة من أقوى رجالنا على الأقل ، واتخذوا كل الاحتياطات اللازمة .

ثم قسا صوتها مع ملامحها ، وهي تضيف :

- لن أسمع له بالتفوق هذه المرة .. هل تفهمين يا (تيا) ؟

تطلعت إليها (تيا) لحظة فى صمت ، ثم أجابت بمنتهى الحزم :

- أفهم .. أفهم أيتها الزعيمة .

قالتها ، وانطلقت لتنفيذ الأوامر ، تاركة زعيماتها خلفها ، وهي تشعل سيجارة جديدة ، في تفعال ملحوظ ، وعقلها يتصاعل ، مع ماتنفثه من بخان سيجارتها ..

ترى هل كشفت بالفعل لعبة (لاهم) ؟!

هل ؟!

« الأمر ليس بهذه البساطة .. »

نطق (أميجو) العبارة في صرامة ، خفي معها قلب وزير الدفاع الأمريكي ، فازدرد لعبه في توتر ، وهو يقول :

- المفترض كوطنى مخلص ، أن تسمح بمروره بهذه البساطة يا سنيور (أميجو) ، فما فعلنا ما فعلناه ، إلا لأننا تصورنا أن أمن (أمريكا) القومى فى خطر .

أجابه (أميجو) فى سخرية :

- أمن (أمريكا) القومى ؟! أنتصوّر نفسك فى لقاء إعلامى بارجل ، حتى تتحدث عن هذه التفاهات ، التى لا تؤمن أنت نفسك بها ؟! إنكم لم تتحركوا أو تتصرفوا ، بكل هذه الوحشية ، من أجل أمن (أمريكا) لو غيرها .. لقد أقدمتم على هذا ، من منطلق

إثبات القوة ، وخطرمة البطش فحسب .. كل ما أردتموه هو أن تصنعوا منى عبرة ، لكل من تنقلبون عليه .. أردتم توصيل رسالة ، تقول : إن مكافحة الإرهاب صارت حجة قوية ، لتجاوز كل القوتين ، وتحطيم كل القوى المنافسة ، وكسر ألف كل الخصوم ، دون أن يجرق أحد على الاعتراض .

ازدرد الوزير لعبه مرة أخرى ، وبذل جهداً خرافياً ؛ للسيطرة على أعصابه وتفاعلاته ، وهو يقول :

- أظنك تبالغ ، فى نظرتك للأمر يا سنيور .

هزّ (أميجو) كتفيه ، قائلاً :

- ربما .. دعنا نستشر رجال الصحافة والإعلام فى هذا الشأن .

أجابه الوزير فى خشونة :

- ومن يرغب فى تدخل هؤلاء الأوغاد .

قال (أميجو) فى صرامة :

- أنا .

زفر الوزير فى عصبية ، ومرة أخرى ، جاهد ليسيّطر على أعصابه ، وهو يقول متزلفاً :

- اسمع يا سنيور (أميجو) .. لقد استشرت الرئيس في هذا الشأن ، ونحن مستعدون لتحمل تكاليف كل الأضرار ، لنتي أصابت شركتك ، سواء المالية ، أو حتى المعنوية .. سنمنحك امتيازات جديدة ، ليس في وزارة الدفاع فحسب ، ولكن في إدارات الطيران المدني ، والطرق ، وشبكة الاتصالات أيضا ، وسنعلن رسميا أن ما حدث كان نتيجة خطأ من أحد رجال الأمن ، وسنجد كبش فداء حتماً ، وسنعمل على معاقبته ، ونقله إلى (الاسكا) * ، وسيرد لك هذا كرامتك واعتبارك ، و ...

صمت لحظة ، ثم مال نحوه ، مضيقاً :

- ويمنحك مزيداً من الأرباح أيضا .

تراجع (أميجو) في مقعده ، وهو يرمقه بنظرة صامتة ، فأضاف في شيء من العصبية :

- والرئيس يصرّ على الحصول على جوابك فوراً ، قبل أن تخرج من هنا ، وتواجه جيوش الصحفيين ، الذين يحاصرون المكان .

ابتسم (أميجو) في سخرية ، قائلًا :

(*) الاسكا ولاية شمال غرب أمريكا الشمالية ، أصبحت لولاية الأمريكية التاسعة والأربعين ، عام 1958م ، الأسك هي مورد الرئيس سكف ، ويليه ذهب ، ولحم ، والبلاتين ، والصفير ، والكتيمون ، وفيما كن أهم مورده تجارة افراء

- وماذا لو قننى لرغب في التفاوض ؛ لنيل المزيد من الامتيازات ؟!

قال للوزير في حدة :

- ما عرضته عليك ، هو أقصى ما مسموح لي بسيادة الرئيس بمنحه ، و

قاطعته (أميجو) في حزم :

- دعني ألتقي به شخصياً إنن .

حدث وزير الدفاع في وجهه دهشة ، قبل أن يغمغم مستنكراً :

- تلتقي به ؟!

قال (أميجو) ، في حزم أكثر :

- إقنى لصرّ ..

التقى حاجبا وزير الدفاع الأمريكي في شدة ، وهو يرمقه في وقت ، قبل أن ينهض من مقعده بحركة حادة ، ويتجه إلى ركن الحجرة ، حيث لولاه ظهره ، وعقد كفيه خلفه ، وهو يقول ، بمنتهى للصرامة والحدة :

- ترى هل تدرك أن المشكلة واحدة في الحالتين ؟!

سأله (أميجو) في هدوء :

- أي حالتين ؟

أجله الوزير ، دون أن يلتفت إليه :

- الأمر يتساقط بنا ، أمام الصحافة والإعلام ، عندما نتورط في محاولة تفسير هجومنا على شركتك ، أو

صمت لحظة ، ثم استدأ إليه ، مكملًا في صرامة متجددة :

- أو تبرير خطأ مقتل ، أثناء ذلك الهجوم .

اتخذ حاجبا (أميجو) في صرامة ، وهو يقول :

- تهديد هذا ؟

التفت إليه الوزير بجسده كله ، وهو يقول :

- بل تحذير .

لثوان ، تطلع كل منهما إلى عيني الآخر في تحد ، قبل أن يقدم (أميجو) فجأة على أغرب تصرف في الدنيا ..

لقد انفجر فجأة ضاحكا ..

وبمنتهى السخرية ..

والقوة ..

وبكل الدهشة والفضب والتوتر ، حدثني فيه الوزير ، حتى هز رأسه ، في استمتاع عجيب ، وهو يقول بالإسبانية :

- ياله من عبقرى ؟

اتخذ حاجبا الوزير ، وهو يقول في عصبية :

- ماذا ؟

نوح (أميجو) بيده ، قائلًا :

- لا عليك .. فقط تذكرت أمرًا نسيت أنه أنت .

سأله بكل عصبية :

- وما هو ؟

تراجع (أميجو) في مقعده الخشبي ، في ثقة مدهشة ، وهو يجيب ، بلهجة ملؤها السخرية :

- الإعلام يعلم بالفعل أنني قد خرجت من شركتي سالما ، عقب الاحتكام للغادر ... أحد الماكربين لبلغ قناة (مسي . إن . إن) بما سيحدث ! فترسلوا مصورا ، نقل وقائع الاحتكام بالكامل ، وهذا يعني ...

قاطعه الوزير بزمجرة وحشية ، وهو يسأله :

- من أخبرك بهذا ؟

هزّ (أميجو) ، كتفيه مجيئاً في هدوء ، بوز أن يبدو متأثراً
بغضب وعصبية الوزير :

- من الواضح أنه هناك فجوة كبيرة في نظامكم ، تتسرب منها
المعلومات .

زمجر الوزير ، على نحو أكثر وحشية ، وهو يمسك يافته في
عنف ، مكرراً سؤاله :

- صالتك : من أخبرك ؟ وكيف ؟

أزاح (أميجو) يده في صرامة ، قاتلاً :

- وأنا أجبت تساؤلك .

بدأ الوزير أكثر عنفاً وشراسة ، وهو يقول :

- ليس من الصير ، في ظروف كهذه ، أن نستوعب فكرة تسرب
المعلومات إلى الخارج ، ولكن من المستحيل أن نُقبل تسريبها إلى الداخل .

كرّر (أميجو) في حذر :

- إلى الداخل ؟

هتف بكل انفعاله :

- أحدهم أبلغك هنا ، بأمر مصور الـ (سى . إن . إن) ، فكيف

حدث هذا ، وأنت داخل حجرة مراقبة طوال الوقت ؟

ابتسم الرجل لبتسامة مستفزة ، لو أنسى أخبرتكَ أنه لم
يخبرني أحد .

صاح الوزير :

- كيف عرفت إذن ؟

مل (أميجو) نحوه ، وغمز بعينه ، قاتلاً :

- يمكنك أن تقول إنها لمحة عبقرية .

احتقن وجه الوزير ، وهو يتطلع إليه في غيظ شديد ، قبل أن
يقول في حدة :

- من المستحيل أن يأتى الرئيس إلى هنا .

هزّ (أميجو) كتفيه ، في لامبالاة ، قاتلاً :

- لا بأس ، سأذهب أنا إليه .

هتف الوزير مستكراً :

- والصحفيون بالخارج ؟

علا بهزّ كتفيه ، قاتلاً في خبث :

- الصحفيون لا يمكنهم الحصول على إفادة واحدة .

وغمز بعينه مرة أخرى ، وهو يضيف :

- من رجل فائد النوعى .

قالها ، وتراجع في مقعده ، مطلقاً ضحكة طويلة ، احتقن لها وجه وزير الدفاع الأمريكي أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

و

وعند هذه النقطة ، ضغطت الزعيمة للغامضة زر الإيقاف ، فتجمدت على شاشتها صورة (أميجو) ، مع ابتسامته الوثقة ، ووجه وزير الدفاع للمحتقن ..

وبكل توتر الدنيا ، نفثت بخان سيجارتها في الشاشة ، قبل أن تتراجع ، مخفضة :

- لعبتك عميقة هذه للمرة يا (أدم) .. عميقة أكثر مما ينبغي .

وصمت لحظة ، ثم أضافت في عصبية :

- أو أكثر مما يمكنني أن أحتمل .

ففي أعماقها ، كان هناك بركان ثائر ..

بركان يقذف للحمم ، في أعماق أعماق مخها ..

أو أشد غوراً ..

انكحمت سيارة (تيا) الفارهة البيضاء ، ذلك الحى الأسود ، في قلب (هرلم) ، أسوأ مناطق (نيويورك) ، وأعنفها ، والتي صارت ، منذ قرن أو أكثر من الزمان ، قاصرة على الأمريكيين السود ، من أصل أفريقي (*) ، واشتهرت بعناء الإجرام منهم ، على الرغم من أنهم يمثلون مجتمع للقلة ، وسط أغلبية سوداء مسالمة ..

ولأن السيارة بيضاء فارهة ، وركابها كلهم من البيض ، فيما عدا (تيا) ، التي بدت ملامحها الصينية واضحة ، فقد تحفز رجال المصائب السود فور رؤيتها ، وبدعوا بتهامسون في عصبية ملحوظة ، كما لو أنهم يعرضون على اختراق عنصريتهم الخاصة جداً ..

وعلى الرغم من تجمعهم ، عبر مسار السيارة ، في تحفز واضح مستفز ، بدت (تيا) شديدة الهدوء والثقة ، على عكس المصالقة للخمسة الذين يصطحبونهم ، والذين أمسك كل منهم سلاحه ، متاهباً لخوض معركة طاحنة ، في أية لحظة ..

وفي سرعة هائلة نسبياً ، توغلت السيارة في الحى ، حتى بلغت أكثر مناطقه عمقاً ، حيث تجمع جيش من السود بأسلحتهم ، على نحو يوحي بأن منبحة بموية عنيفة ، على وشك أن تنشأ هناك ..

(*) يطلق الأمريكيون ، منذ منتصف التسعينات ، على مواطنيهم السود ، اسم (الأمريكيين الأفارقة) (African americans)

في أعرق أعراق (هارلم) ..

ولكن (نيا) أمرت السائق بالتوقف ، وسط ذلك الحشد المتحضر ، وهبطت منها في هدوء واثق ، وارتكبت إليها بشيء من الميوعة ، وهي تتطلع إليهم بابتسامة ساخرة ، في حين خرج رجالها الخمسة حذرين ، متحفظين ، و ..

وفجأة ، سحب أحد السود ممدسه ، وأطلق زمجرة وحشية ، دفعت الدماء في عروق الكل ، و

« أريد (جاكسون) . »

نطقت (نيا) الكلمة ، في لهجة أمرة صارمة ، لم يرتجف منها حرف واحد ، على الرغم من دقة الموقف ، فتجمد المشهد كله دفعة واحدة ، كما لو أنه صورة على شاشة تلفاز رقمي ، ضغط أحدهم زر تثبيتها ..

فمجرد ذكر اسم (جاكسون) ، زعيم عصابات (هارلم) ، وأكثر رجل لعلم قسوة وعنفًا ، أرجف القلوب ، وجمد الأنظار دفعة واحدة ..

أما العيون ، فقد اتسعت عن آخرها ، وحدت بها لكل ، في وجه (نيا) الجميل الصغير ، على نحو اتسعت معه ابتسامتها ، وهي تقول بنفس اللهجة الصارمة الأمرة :

- أخبروه أن (نيا) هنا .. وأن الزعيمة تطلبه فوراً .

أثارت لهجتها ذعراً أكثر في القلوب ، ولم يصدق معظمهم أنها تتحدث بتلك اللهجة الأمرة ، عن الرجل الذي ترتجف لذكر اسمه قلوبهم وتجل وتترعد ..

وبصيحة هائرة ، هتفت (نيا) :

- قلت فوراً .

لم تكذ صيحتها تنطلق ، بل وربما حتى قبل أن تكتمل ، كانوا يتفرقون من حولها ، في سرعة وهلع ، كمستعمرة نمل ، هاجمها آكل نمل شرس^(*) ، فراح كل منها تتجو بنفسها ، دون نظام أو تحديد ..

وفي ظفر ، ابتسمت (نيا) أكثر ..

وفي انبهار تام ، غمغم أحد عمالقتها للخمسة :

- من الواضح أن للزعيمة نفوذاً كبيراً هنا

أجابه (نيا) في صرامة :

(*) أكل شمل حيوان يتعدى بالحشرات ، عديم الأسنان ، يحيا في أمريكا الوسطى والجنوبية ، له رأس طويل ومنخر طوي ، وسنن لرج ، يمدد داخل مستعمرة النمل ، فتتصق به الحشرات ، التي ينسحب منها في شراة لا تنقطع

- الزعيمة لها نفوذ في كل مكان .

قال آخر ، في شيء من الحماس :

- إنها تتفق بسخاء ، في سبيل هذا .

استدارت إليه (تيا) في بطم ، قائلة في استنكار :

- تتفق بسخاء ؟! فقط ؟!

لرتبك الرجل ، وهو يقول :

- كنت أعني أن استثماراتها ضخمة للغاية ، في مقرها هنا ،

وفي (سيبيريا) ، و

قاطعت (تيا) ، في صرامة مفاجئة :

- اصمت .

تراجع للعصا أمام جسدها الضئيل في خوف ، فتأبعت بكل

الصرامة ، وهي تتقدم نحوه :

- إياك أن تتحدث عن أسرار الزعيمة .. حتى وأنت وحدك ..

أنت تعرف عقوبة هذا .

ارتجف الرجل ، على الرغم من قارق الضخامة ، بينه وبينها ،

وقال في لرتبك شديد :

- كنت أشير فقط إلى أن ثروتها هي التي ..

صرخت فيه (تيا) ، مقاطعة :

- ليست الثروة أيها الغبي .

ومالت نحوه بحركة حادة ، جعلته يعود برأسه إلى الخلف ،

وهي تكمل :

- إنها القوة .

ازبد العصا لعابه في صعوبة ، وهو يتطلع إليها ، في

توتر كامل ، فاعتذلت ، مكمنة ، وقد استعادت هدوءها ، إلى

حدها :

- (جاكسون) هذا مثلاً ، يمتلك ثروة طائلة ، من تجارة

المخدرات ، والمقامرة ، وكل الأعمال الحكيمة وغير المشروعة ،

التي يمكنكم تخيلها ، وعلى الرغم من هذا ، فهو بطبع الزعيمة

طاعة عمياء ، ويرتجف لمجرد ذكر اسمها ، أنتصرون أن كل

هذا لأنها أكثر ثراء ؟!

تطلّعوا إليها كلهم في حذر ، فتأبعت في حزم :

- بل لأنها أكثر قوة .

ثم مالت نحوهم ، مستطردة :

- وأكثر قسوة .

بدأ التوتر على وجوه الخمسة ، مما جعلها تتابع في تلذذ :

- فلو أن (جاكسون) هذا قادر على قتل طفل صغير ، دون رحمة أو شفقة ، فهي مستعدة للتمثيل بذلك الطفل ، وتعذيبه على نحو بشع ، قبل أن تقتله ، لو أن هذا يخدم مصالحها .

ثم رفعت أحد حاجبيها وخفضته ، مضيئة :

- وهي حريصة على أن يدرك (جاكسون) هذا

لم تكذب على ذكره ، حتى وصل زعيم عصابات السود ، في سيارة فاخرة ، ذات لون وردي مستقر ، وتوقف إلى جوار سيارتها ، وهبط من سيارته ، مرتدياً حلة ذات لون أخضر زاه ، ورباط عنق نارياً ، وفي فمه سيجار ، يبدو من فرط ضخامته ، وكأنه يصنع خصيصاً من أجله ، وينفث دخله في كثافة شديدة ، وهو يتنسم ابتسامة مقبلة ، قتلاً :

- مرحباً يا حسناتى .. أتعلم أن يكون لزيارتك أثر مالية جيدة .

رمقته (تيا) بنظرة ازدراء ، وهي تقول :

- لست أظنك تفكر إلى المال يا (جاكسون) .

أطلق ضحكة مقبلة ، قبل أن يقول :

- لا أحد يصاب بتخمة الأموال يا حسناتى .

لم يكن النقب ، الذى يستخدمه فى مخاطبتها ، يروق لها أبداً ، إلا أنها تجاوزت اشمزازها ، وهي تقول :

- لقد كتبت بشأن المصريين الأربعة .

نفث (جاكسون) ذلك الضباب الكثيف ، من بين شفثيه الغليظتين . قبل أن يقول فى خشونة :

- المصريون أصبحوا مشكلة .. الكل يبحث عنهم .

قالت فى صرامة :

- لا شأن لك بهذا .

اتخذ حاجباه ، على نحو زاد ملامحه قبحاً ، وهو يقول :

- بل صار شائئى .

والتقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف فى حدة :

- لقد تخلصت منهم .

وهنا فقط ، شعرت (تيا) بالتوتر ..

إلى أقصى حد .

5 - أميجو ..

« يا له من عبقرى ! »

ضغطت الزعيمة زر إعادة البث للمرة الخامسة ، وهى تراجع تلك العبارة بالتحديد ، من حديث (أميجو) ، مع وزير الدفاع الأمريكى ..

وفى تركيز شديد ، راحت تتابع المشهد نفسه ، وعقلها يلقي عليها السؤال ذاته ، فى إلحاح لا ينقطع ..

ما الذى عناه (أميجو) بقوله هذا ؟!

من هو ذلك العبقرى ، الذى أشار إليه ؟!

إنه (لهم) حتماً ..

من سواء ..

وحده يبر كل هذا ، وتوقع كل خطوة ، واستعد لكل رد فعل ..

وحده ، يمكنه أن يتفوق عليها ..

وهذا ما يحنقها يوماً ..

ففى علمها ، هى الزعيمة ..

وحدها بلا منزع ..

خبراتها المتعددة ، وذكاؤها اللامع المتقد ، وبراعتها ،
ومكرها ، وقسوتها ، وسطوتها ، كل ذلك وضعها على القمة ..

وفي كل معاركها ، كانت تنتصر ..

إلا عندما يدس هو أنفه في شلونها ..

كلما ظهر ، يصبح من الطبيعي أن يتفوق ..

وأن ينتصر ..

ولقد سلمت هذا ..

لا بد وأن تعلن هي انتصارها مرة ..

ومن المحتم ألا يكون انتصارا عاديا ..

بل ساحقا ..

ما حقا ..

وعليا ..

هناك ، في جزيرتها ، كان يمكنها أن تتركه يموت (*) .

كان يكفيها أن تهرب ، وأن تتركه خلفها ، وكان سيلقى مصرعه
حتما ..

إلا أنها لم تفعل ..

(*) راجع قصة (النهاية) المعامرة رقم (150)

فلو لقي حتفه يومها ، لعلت منتصرا ، وتركها مهزومة مدحورة ..

كان سينتهي بطلا ، كما عاش يوما ..

وهي لم تسمح بهذا ..

لم يكن من الممكن أن تسمح به ..

لذا ، فقد جازفت لتتفذه ..

أخرجته من قلب الجحيم ، وتركته يحيا ..

(تيا) لم تفهم يومها ، لماذا فعلت هذا ..

وهي لم تهتم بشرح موقفها ..

المهم أن تتفذه ..

أن تعيده إلى اللعبة ، وتواجهه في تحد جديد ، يعلم الكل
أمره ، و

وتهزمه ..

هذا وحده ، يعيد إليها سطوتها ..

وبيعدها إلى القمة ..

ولكنها ، في هذه المرة أيضا ، ما زالت تشعر أنه متفوق ..

إليه يسبقها دوماً بخطوة ..

خطوة تضعه في المواجهة ، وتسمح له بتحديد مسار اللعبة ..

وليس أمامها ، والحال هكذا ، سوى أن تتبعه ..

وهذا يحقها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

والوسيلة الوحيدة ، لكي تسبقه في اللعبة ، هي أن تتوقع

حركته المستقبلية ، قبل أن يقدم عليها ..

وهذا لن يتأتى ، إلا لو أمكنها أن تفهم لعبته ..

وهذه ..

ومرماه ..

وحتى هذه اللحظة ، ما زالت تجهلها كلها ..

وتعجز حتى عن استنتاجها ..

وهذا يفجر غضبها ، إلى أقصى حد ممكن ..

وربما بلا حدود ..

وبكل توترها وقزعاجها ، أشعلت واحدة من سجائر الرقيقة ،
وراحت تنفث دخانها في سماء حجرتها ، وهي تعيد عرض تلك
الفقرة مرة أخرى ..

وأخرى ..

وأخرى ..

وما زال السؤال يشتعل في أعماق عقلها ..

تري ما هدف لعبة (أدهم) ؟!

وقل عقلها يلتهب ..

بلا جواب ..

على الرغم من تلك السطوة ، التي يتمتع بها (جاكسون) ، في
مجتمع السود في (هارلم) ، فقد بدا أشبه بقط مبيتل ، وهو يقف
أمام (تيا) ، في قلب منطقة نفوذه ، وهي تصرخ في وجهه :

- تخلصت منهم ؟! هل فعلت هذا ، دون الرجوع إلى الزعيمة

يا (جاكسون) ؟!

ارتبك (جاكسون) بشدة ، وهو يقول في عصبية :

- الاحتفاظ بهم لم يعد آمناً ، بعد أن أصبح الكل يبحث عنهم باستماتة .. رجال الشرطة يبحثون ، ومكتب التحريات الخاصة تبحث ، كذلك الشرطة الفيدرالية ، ورجال المخابرات .. إياكم لم تخبروني بمدى خطورة هؤلاء المصريين الأربعة يا حسننى ، و ...
قبل أن يتم عبارته ، انقضت عليه (تيا) فجأة ، غير مبالية برجاله ، وقالت فى شراسة :

- كيف تخلصت منهم ؟! هل قتلتهم ؟!

تحفز رجاله فى عصبية ، سحب أحدهم مسدسه ، فرفع رجال (تيا) الخمسة أسلحتهم ، فى تحفز مماثل ، وبدأ لحظة أن النيران تشتعل فى المنطقة ، إلا أن (جاكسون) هتف برجاله فى عصبية .
.. لا .. لا أسلحة .

تضاعف توتر الرجال ، ولكنه استطرد فى توتر :

- إبنى .. إبنى لم أقتلهم .. لم يكن من الممكن أن أفعل ، دون استشارة الزعيمة .

سألته بنفس الشراسة :

- ماذا تعنى بتخلصك منهم إننى ؟!

هتف ، وهو يحاول التخلص منها فى حدة :

- لقد .. لقد أرسلتهم بعيداً .

صاحت به :

- أين ؟!

صرخ عند هذه النقطة :

- أتركبني لولاً .

أطلقت نظرة نارية من عينيها بضع لحظات ، ثم لم تلبث أن تراجعت بحركة حادة مفاجئة ، وهى تقول فى صرامة :

- فليكن .

عك من هذاه فى عصبية ، واستدار إلى رجاله بنظرة مرتبكة ، وابتهامة ، حاول أن يخفى بها مثله ، فصاحت هى به :

- هيا .. ليس لدى اليوم كله لأضيعة .

قال فى حدة :

- حسن .. حسن .. لقد أرسلتهم إلى مزرعتى .

التقى حاجباها ، وهى تسأله :

- مزرعتك 1؟ أين 1؟

مال نحوها ، ونفث بخان سيجاره الكريه ، على مقربة من وجهها ، وهو يقول :

- هناك .. فى (تكساس) .

سألته فى حدة :

- هل تمتلك مزرعة فى (تكساس) 1؟

تراجع مطلقاً ضحكة مستفزة ، قبل أن يجيب :

- نعم .. هل يمكنك تصور هذا 1؟ أجدادى الأوائل كانوا عبيداً فى تلك المزرعة ، وتاريخهم تتألفته أسرته .. أحدهم مات تحت حوافر الخيل ، وكل ما حصلت عليه زوجته ، كان مهلباً من جد صاحب المزرعة الحالى .. لذا فقد أقسمت ، منذ نعومة أظفري أن أنتقم له .. وعندما أصبحت ما أنا عليه ، ذهبت لزيارة حفيد قاتل جدى . وتحديث إليه بعض الوقت ، وشرحت له ما فعله جده ، وبعدها أقسمت له عرضاً ، لا يمكنه رفضه^(*) .

بلغ تلك العبارة الشهيرة ، فنفجر ضحكاً ، على نحو دفع السماء فى عروقها ، وجعلها ترغب فى لكمة على أنفه الضخم ، قبل أن يتابع :

(*) عبارة شهيرة ، مستخدم الممثل العالمى (مارلون براندو) . وهو يلعب دور زعيم (المافيا) ، فى فيلم الأب الروحى .

- وهكذا ، أصبحت المزرعة لى ، وأصبح حفيد عبيد الأمس هو مالكاها اليوم^(*) .

قالت فى صرامة وحدة :

- حقير منك أن أرهقتنى بسماع تاريخ أسرتك ، الذى لا يعنينى بشيء ، والوسيلة الوحيدة لتمحو هذه القذارة من أنسى ، هى أن تخبرنى أين مزرعتك بالضبط 1؟

شدة قامته ، قائلاً :

- سأفعل ما هو أفضل من هذا .

ولتقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف ، فى زهو وتفاخر واضحين :

- سأصحبك إلى هناك .. فى طائرتى الخاصة .. وفوراً .

ولفنى حاجبا (تيا) ، فى شدة ..

فلو امر الزعيمة كتبت صارمة للغاية ..

لا بد من التيقن شخصياً ، من تأمين الأسرى الأربعة ..

وبأى ثمن ..

(*) قديماً ، قمت لزراعة فى الجنوب الأمريكى معتمدة على عشرات العبيد السود . فليس تم اختطافهم من (أفريقيا) ، ونقلهم بوسل غير آمنة . ليعاوا فى أسواق (أمريكا) ، مما سبب الحرب الأهلية . بين الشمال والجنوب (1861) - (1865 م)

للتقط نائب مدير للمخابرات العامة المصرية نفساً عميقاً ،
وهو يقول للمدير فى اهتمام :

- سنيور (أميجو) عاد إلى شركته ، التى تجرى الحكومة
الأمريكية بنفسها الإصلاحات اللازمة فيها ، بعد اتحائها دون
سند قانونى .

ابتسم المدير ، وهو يقول :

- أعتقد أن (أميجو) لن يكتفى بهذا .

وافقه النائب بإيماءة من رأسه ، وقال :

- نحن أيضاً نعتقد هذا يا سيادة الوزير ، خاصة وأن الإعلام
الأمريكى كله يطالبه بمقاضاة الحكومة ، حتى يضع حداً لتجاوزاتها
فى الآونة الأخيرة ، بحجة حماية الأمن القومى ، من الإرهاب
الخارجى .

صمت المدير بضع لحظات مفكراً ، قبل أن يقول فى اهتمام :

- الأمر يحتاج إلى دراسة متأنية .. أريد عقد اجتماع عاجل
لأمن القومى ، لدراسة موقف (ن - 1) هذا .

قال النائب فى دهشة :

- ولماذا ؟! إنها ليست عملية رسمية ياسيدى ، وهذا يعنى
أنه ليست لدينا مخططات سابقة ، أو حتى توقعات تالية لها .

أجابه المدير فى حزم :

- عندما يستعد (ن - 1) رفاقه ، سيجن جنون الكل ، فى
الولايات المتحدة الأمريكية ، وسيتحول الأمر إلى حرب طلحة .. حرب
قوة عظمى ، ضد رجل واحد ، ينقذ أربعة من الأسرى المنهكين ،
وعندما يحدث هذا ، لابد وأن نكون مستعدين لمساعدته ، على
نحو دقيق وغير رسمى ، ولكن بكل طاقتنا وخبرتنا .

قال النائب فى حيرة :

- تبدو واثقاً من أنهم على قيد الحياة ، وأن العميد (أدهم)
سومتعدهم يا سيدى .

قال المدير فى سرعة :

- إنه يدبر اللعبة كلها من أجل هذا ، وإثارتة لتوترهم وقلقهم
وحيرتهم ، يستهدف الوصول إلى حيث يحتجزونهم .

تصاعل النائب فى حذر :

- وكيف هذا ؟!

صمت المدير بضع لحظات ، وشفته تحملان ابتسامة هائلة ،
ثم قال ، فى حسم واضح :

- قل لى : لو أخبرك أحدهم أن منزلك تعرض إلى الاقتحام ،
ما أول شيء ستبحث عنه للاطمئنان .

التقى حاجبا اللب لحظات فى شدة ، ثم تألفت عيناه ، وهتفت
فى حماس مفرط :

- يا إلهى ! الآن أدركت هدف اللعبة كلها يا سيادة الوزير ..
الآن فقط .

وهنا اتسعت ابتسامة المدير ..

وحملت كل الثقة ..

وكل الغموض ..

معاً ..

راحت الإصلاحات تجرى على قدم وساق ، فى مبنى شركة
(أميجو) للإلكترونيات ، وبدا (أنزيو) ، المدير الإدارى ، شديد
العصبية ، وهو يتحسس موضع إصابته ، قائلاً فى حدة :

- ما زلت أصر على مقاضاة الإدارة الأمريكية يا سنيور
(أميجو) .. لقد أساءوا إلينا إساءة بالغة ، ولا بد وأن يدفعوا
الثمن .

أضافت (لورا) فى حدة ، وهى تكتم دموعها بالبكاء :

- من ناحيتى ، سأقضيهم على ما سيبدو لى من رعب ، لم أشعر
بمثله ، فى حياتى كلها ، حتى ولو أدى هذا إلى فصلى من العمل .

تجاهلهما (أميجو) تماماً ، وهو يتطلع عبر النافذة ، التى يعمل
العمال على إصلاحها ، فى صمت وتفكير عميقين ، فتبدلاً نظرة
متوترة ، وقال (أنزيو) محتدماً ، وهو يلوح بذراعه :

- الإعلاميون فى الخارج ، يتصارعون للحصول على تصريح
رسمى منك ، وما زلت ترفض استقبالهم ، وتمنعنا أيضاً من
الإدلاء بتصريحاتنا .

أضافت (لورا) ، وقد سمحت لدموعها بالانهمار على خديها :
- وهذا ليس عدلاً .

صمت (أميجو) لبضع لحظات أخرى ، ثم قال فى حزم ، دون
أن يلتفت إليهما :

- لا طائل من كل هذا .

بدت دهشة مستنكرة على وجهيهما ، فتابع بنفس الحزم ،
ودون أن يلتفت إليهما :

- الإدارة الأمريكية تتصرف وتتعامل ، في هذه الآونة ، كما لو أنها تنظم إجرامى منظم ، وليس إدارة سياسية محترمة ، لا قوى دولة في العالم .. وبحجة مكافحة الإرهاب ، ألقت خلف ظهرها بكل قوانين الحريات ، التى قتل الأوفل لإقرارها ، والحفاظ عليها ، ووضع دستور دائم لحمايتها وتنظيمها .. القوانين تم تعطيلها .. مراقبة لكل أصبحت حقاً للمسئولين .. اعتقال أى شخص ، فى أى وقت ، ولأية مدة ، أصبح أسس التعامل والحكم .. لا احترام لحرية الفرد ، أو ملكيته ، لو حتى قوانينه .. الإدارة الأمريكية تسعى لفرض سيطرتها وهيمنتها على شعبها ، كوسيلة لمد هذه الهيمنة على العالم كله .

ثم التفت إليهما ، مكملًا ، فى غضب واضح :

- باختصار ، أصبحت إدارة تتعامل بمنتهى الخسة والحقارة والديكتاتورية ، بحجة حماية القيم والديمقراطية .. وبإلها من مهزلة .
واتسعت عيونهما فى انبهار ..

صحيح أن ذلك الوقت أمامهما ، كان هو نفسه السنيور (أميجو) ،
الذى يعرفاته ، ويتعاملان معه منذ زمن ..

إلا أنه بدا هذه المرة مختلفًا ..

بدا أكثر قوة ، وبأسًا ، وحزمًا ، وصرامة ، من كل المرات السابقة ..

بل ، لقد بدا مختلفًا ، حتى عن ذلك الذى كان هناك ، عندما حدث الاقتحام الأمريكى ..

مختلف تمامًا ..

وعبر جسد (لورا) ، سرت قشعريرة باردة كالثلج ، وهى تتطلع إلى عيني (أميجو) مباشرة ..

إنه ليس هو ..

ليس (أميجو) ، الذى عرفته أس ..

ليس هو حتمًا ..

ربما هو نسخة طبق الأصل منه ، ولكنه ليس هو ..

إنها لن تخطئ هذا قط ..

الإيمان يمكن أن يغير كل ملامحه ..

إلا عينيه ..

وعينا ذلك الوقت أمامهما ، ليستا عيتين عاديتين ..

إنهما عينا أسد ..

أسد مصور ..

ومرة أخرى ، سرت في جسدها قشعريرة باردة ..

وربما أكثر برودة من الثلج نفسه ..

ودون أن تدري ، تراجعت خطوة إلى الوراء ..

خطوة ، لاحظتها عينا الرجل بسرعة ..

وبدقة ..

وبراعة ..

لاحظ رد فعلها ، وتطلع إلى عينيها لحظة ..

أو ربما أقل من هذا ..

ولكنه فهم ..

ليست لديها ذرة واحدة من الشك ، في أنه قد فهم ..

تلك الابتسامة ، التي تسلمت إلى ركن شفتيه ، لجزء من

الثانية ، قبل أن تذوب في ملامحه الجامدة ، وهو يضح بوجهه

عنها ، مكملاً ، وكأنه لم يتوقف لحظة واحدة :

- وعندما يحاول أحد مقاضاة الإدارة الأمريكية ، ستفتح عليه

نيرانها من كل الجبهات ، وستستعين بكل ما حصلت عليه من

استثناءات ، عبر برنامج مكافحة الإرهاب ، لكي تربح المعركة ،

حتى ولو لفقت أدلة ، تثبت تورطهما في مخطط إرهابي كبير .

امتقع وجه (أنزيو) في شدة ، وبدت (لورا) أشبه باللاهثة ،

وهي تحدث في وجه (أميجو) الجديد ، قبل أن يغفم الأول :

- ولكن هذا يحتاج إلى أدلة بدانة يا سنيور (أميجو) .

هز الرجل رأسه في بطم ، قللاً :

- ليس في هذه الظروف .

ونقل بصره إلى (لورا) ، مضيقاً :

- وليس في هذه الآونة .

خيل إليها أنه يبلغها رسالة خفية ، فانسعت عيناها لحظة ، ثم

تمتعت بصوت مضطرب :

- ربما .

مرة أخرى ، ابتسم ابتسامة سريعة ، ثم استعاد ملامحه

الجامدة ، وهو يتطلع إلى عينيها مباشرة ..

وارتجفت (لورا) ..

ارتجفت ..

وارتجفت ..

وارتجفت ..

ثم أغلقت عينيها ..

كانت هذه هي الوسيلة الوحيدة ؛ لتهرب من عينيهِ القويتين ..

النفائتين ..

المتوغلتين ..

فكلما نظرت إليهما ، شعرت وكأنه يفرص في أعماقها ..

في أعماق أعماقها ..

وفجأة ، وبينما تظن عينيها ، لرتفع رنين هاتفه المحمول ..

وانتفض جسدها كله في عنف ..

وعندما فتحت عينيها ، كان يضع سماعة هاتفه على أذنه ،

وينتحي ركنًا جانبيًا ، ويستمع إلى محادثه ، في اهتمام بلغ ذروته ..

ومرة أخرى ، تطلعت (لورا) إلى عينيهِ ..

وفي هذه المرة ، رصدت لتمعنهما ..

فقد كان من الواضح أن ما يتلقاه أمر شديد الأهمية
والخطورة ..

إلى أقصى حد .

* * *

6- الأربعة ..

شعر مدير المخابرات الأمريكية بتوتر لا مثيل له ، وهو يوقف سيارته ، مع اثنين من معاونيه ، فى تلك المنطقة الهادئة ، فى قلب (نيويورك) ..

كان يشعر أن ما يفعله لا ينتمى ، بأى حال من الأحوال ، إلى أعمال المخابرات ، التى اعتادها وألفها ..

بل كان أقرب إلى ما تقوم به العصابات المنظمة ..

لذا ، فهو لم يشعر بالارتياح قط ، وهو ينظر إلى ساعته ، مغمضاً فى عصبية :

- لقد وصلنا قبل الموعد بست دقائق .

تبادل معاوناه نظرة قلقة ، ثم تتحجج أحدهما ، وقال فى حذر :

- لا بأس من الوصول مبكراً .

رمى مدير المخابرات بنظرة خاوية ، ثم ارتد مرة أخرى إلى ساعته ، وكلماته يترنح أن يقفز الزمن إلى الأمام ، فتتحجج للرجل مرة أخرى ، وقال فى حذر أكثر :

- ما زلت أعتقد أن وصولنا إلى هنا وحدنا ، أمر ينطوى على مخاطرة بالغة .

غمغم مدير المخابرات فى عصبية :

- لقد أصرت على هذا .

قال الآخر فى توتر :

- ليس من الضروري أن نخضع لكل ما تصرّى عليه ..

ماذا لو أنه فح .

غمغم فى صرامة عصبية :

- إنه ليس كذلك .

قال الأول :

- ولم لا ؟!

اعتقد حاجبا مدير المخابرات الأمريكية فى شدة ، وهو يجيب فى حدة :

- لأن هذا ليس أسلوبها .

تبادل الرجلان نظرة شك صامتة ، ثم هز الأول كتفيه ، وقال فى خفوت :

- لم يكن هناك ضرر ، في أن نستعد لهذا الاحتمال .

أجاب المدير في خشونة :

- هذا يثبت أنك لم تستوعب خصمك جيداً هذه المرة .

قال الرجل ، مدافعاً عن كفايته :

- كل الخصوم لهم سمات مشتركة ، و

قاطعه المدير في حدة :

- إلا هي ..

صمت الرجلان تماماً ، فتابع هو في حزم :

- إنها تعرف كل شيء .. لها عيون وأذان في كل شبر ، وكل ركن ، وكل محاولة لتجسيم هذا أو منعه ، تنتهي بالفشل ، وبعقاب عنيف ، تنزله على رؤوس الجميع ، بلا شفقة أو رحمة .

قال الأول ، في شيء من الحدة :

- لمن المفترض أن يخيفنا هذا ؟!

قال المدير في صرامة :

- بل أن يدفعكما إلى التفكير ، في حساب الأرباح والخسائر ،

قبل الدخول في معركة ما .

صمت الرجلان بضع لحظات ، في ضيق واضح ، ثم غمغم للتأني :

- كنت أتصور أننا أقوى دولة في العالم

زفر مدير المخابرات ، دون أن يجيب ، وراح عقله يبحث عن بديل لمعلونيته ، اللذين بدا من الواضح أنهما غير مؤهلين ، لخوض تلك المحنة ، والتي تمر بها البلاد ، والتي يبذل قصارى جهده ، حتى لا يطم بها أحد .

وبينما تهتم في أفكاره وحساباته ، سطع فجأة ضوء مصباحين قويين لحظة ، ثم انطفأ ، وعاد يسطع مرتين ، فتحركت يدا الرجلين بحركة غريزية إلى منصتيهما ، إلا أنه أشار إليهما في صرامة ، قللاً :

- إنها هي .

تبدلاً نظرة متوترة أخرى ، وظلت يد كل منهما ممسكة بمصممه ، وهما يتابعان ضوء السيارة ، الذي عاد يسطع ، وهي تقترب منهما في هدوء ، حتى توقفت على مسافة ستة أمتار من سيارتهما ، وسطع مصباحاها مرة أخرى ، ثم انطفأ ..

وهنا ، قال مدير المخابرات في حزم ، وهو يغادر سيارته :

- لننظر إلى هنا .

وتوقف لحظة أمام السيارة ، ثم التفت إليهما ، مضيقاً بمنتهى الصرامة :

- لا أريد حماقات متهورات .

تبادل الرجلان نظرة عصبية ، وغمغم أحدهما :

- كما تأمر .

غادرهما للمدير ، واتجه نحو السيارة الأخرى ، وفتح بابها ، فسمع صوت الزعيمة داخلها ، تقول :

- بسعطني أن نلتقى للمرة الأولى يا رجل .

كانت تجلس في الركن البعيد ، وسط ظلمة حالكة متعددة ، لا يضيئها سوى لهب طرف سيجارتها المشتعلة ، والتي ملأت السيارة بالدخان ، فعمل قاتلاً :

- لا يبدو لي لقاء مباشراً ، على الرغم من تواجدنا معاً .

نفث دخان سيجارتها ، قاتلة في صرامة :

- لم يحن وقت كشف الوجوه بعد .

بنل جهذاً كبيراً ؛ ليراقب ملامحها ، مع ضوء سيجارتها ، وهو يقول :

- الواقع أن طلب اللقاء المباشر لأهمني للغاية ؛ فمنذ تعارفنا ، تتم لقاءاتنا كلها عبر وسائل اتصال تكنولوجية متطورة .

صمتت لحظة ، قبل أن تجيب :

- المرحلة التي نمر بها بقيقة للغاية ، وأست مستعدة للمجازفة بمحادثة واتصال ، وقد يمتلك غيري وسيلة لتعقبه أو رصده .

وجذبت نفسها عميقاً من سيجارتها ، فتوهج طرفها أكثر ، وكشف ذلك القناع المسرحي الرقيق ، الذي تخفى به ملامحها ، والذي استفز مدير المخابرات بشدة ، قبل حتى أن تتابع :

- وخاصة مع برنامج الأقمار الصناعية الجديد ، الذي تعملون على تطويره ؛ لرصد وتتبع خصومكم ، في كافة أنحاء العالم ، فقط بتعريف تذبذبة أصواتهم (*) .

بدت عليه الدهشة ، وهو يغمغم :

- إذن ، فلديك عين وسطنا بالفعل .

أجابته في سخرية :

- لو يمكنك أن تقول إنني قد توصلت إلى الابتكار نفسه قبلكم .

فبعد حجاب في شدة ، وهو يحدث فيها بمنتهى الدهشة والتوتر ، وقد بدت له قوى وأكثر تطوراً ، من نظام دولته كله ..

(*) برنامج منظور . تتم تجربته بالفعل ، في لحظة كناية هذه السطور ، لرصد القوم في الجبال .

وبكل عصبية ، سألتها :

- لماذا هذا اللقاء ؟!

نفث دخان سيجارتها ، دون أن تجيب ، فأكمل في حدة :

- إننا لم نأت إلى هنا ، ونكسر كل قواعد الاتصال السابقة ، فقط للتبهي بآثك تسبقيننا في سلم التطور .

غمضت :

- أنت على حق ، لا داعي لإضاعة الوقت .

ثم اعتلت ، مضيئة في صرامة :

- لقد للتقينا بشأن سنير (أميجو) .

أثار ذكر اسم (أميجو) توتره ، فقال في عصبية :

- ماذا عنه ؟!

أجابته بنفس الصرامة :

- لقد سخر منا جميعاً .

بدا العصب واضحاً في صوته ، وهو يقول :

- اسمعي أيتها الزعيمة .. (أميجو) هذا جعلنا نواجه أزمة إعلامية شديدة ، لم تنته بعد ، وكل هذا بسبب معلومات خاطئة ، أرسلتيها أنت إلى وزيرة خارجيتنا ، ولست مستعداً لـ

قاطعته في صرامة :

- لا تسمح له بخداعكم مرة أخرى .

قال في حدة :

- الرجل لم يخدعنا .. أنت خدعتنا .. لقد راجعت كل نتائج فحصه بنفسى .. خبراءنا فحصوا ملامحه بالأشعة فوق البنفسجية ، وتأكدوا من أنه لا يرتدى أية أقنعة ، ولم تجر له أية جراحات تجميل ، باستثناء جراحة تقويمية للأنف ، وبصماته تتفق مع المسجل لدينا ، في تصريح مزرعته في (المكسيك) ، وحمضه النووي يختلف تمام الاختلاف ، عن الحمض النووي المسجل لدينا ، لذلك المصري ، الذي بشر وجوده جنونك دوماً .

بدا صوتها غاضباً ، وهي تنفث دخان سيجارتها ، قائلة :

- كل هذه الأمور لا تسلوي شيئاً .. سجلات البصمات والحمض النووي يمكن التلاعب بها واستبدالها .

قال في حدة :

- ليس بهذه السهولة .

قالت في حدة أكثر :

- فليكن ، ولكن ما أريد قوله هو أن (أميجو) ، الذي لقيتم القبض عليه ، وفحصتموه بكل هذه الدقة ، ليس هو نفسه (أميجو) ، الموجود في شركته الآن .

استمت عيناه لحظة ، وهو يحدق فيها ، قبل أن يعود لعقد حاجبيه ، وهو يقول في توتر :

- أي قول هذا ؟!

مالت نحوه ، قائلة :

- القول الحق يا رجل .. (أميجو) الذي لقيتم القبض عليه ، قتل بسيارة مغلقة ، من مقر شركته ، إلى مطار خاص ، في منتصف الطريق ، بين (نيويورك) و(واشنطن) ، حيث حملته طائرة خاصة ، إلى مكان مجهول في (أوروبا) ، وكلها أمور يمكنك أن تتأكد من حدوثها ، عبر بعض التحريات الدقيقة .

بدا عليه مزيج من الشك والحيرة ، وهو يغمغم :

- ومتى حدث هذا ؟!

أجابته في حزم :

- بعد ساعة واحدة ، من مغادرته لكم .

هتف مستكراً :

- مستحيل ! لقد التقى بالرئيس الأمريكى ، فى صباح اليوم التالى ، و

قاطعه في صرامة :

- لم يكن هو .

ثم مالت نحوه ، وهي تلقى سيجارتها أرضاً ، وتمسحها بقمها ، مضيفة في لهجة خاصة :

- كان الآخر .

والتقى حاجبا منير المخابرات الأمريكى بمنتهى الشدة ..

فما تشير إليه للزعيمة ، كان أخطر ما سمعه ، فى حياته كلها ..

أخطره على الإطلاق ..

هبطت طائرة (جاكسون) ، فى تلك المطار الخاص ، على مقربة من مزرعته ، ولم تكد تستقر أرضاً ، حتى أطلق هو ضحكة عالية مستفزة ، ليس لها ما يبررها ، قبل أن يقول :

- من هنا ، يمكنك أن تسمى الآلات الميكانيكية تملأ يا حسنى ؟
فمزرعتى قد ارضى طرزال أجدادى .

سألته (تيا) فى ضجر :

- وما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أطلق الضحكة المستفزة نفسها ، قبل أن يجيب :

- سترين .

نهض يغادر الطائرة ، وبقي رجاله داخلها ، ليتابعوا هبوط (تيا) ورجالها الخمسة أمامهم ، وما أن أصبحوا خارجها ، حتى انطلق تلك الهتاف فجأة ..

صرخة تقليدية ، أطلقها راكبو الجبل ، الذين لاحظوا بالطائرة ، فى دائرة كبيرة ، وهم يرفعون قبعات رعاية البقر القديمة ، ويلوحون بها فى الهواء ، ترحيباً برئيسهم ..

ومع الصرخة ، قفزت أيادى رجال (تيا) إلى مسدساتهم ، ثم تذكروا أن قواتين الطيران لم تسمح لهم بحملها ، فى حين أطلق (جاكسون) ضحكة عالية ظافرة مزهوة ، وهو يقول :

- اطمئنوا .. إنيهم رجالى .

لاحظت (تيا) ، للوهلة الأولى ، أن كل رجال (جاكسون) من البيض ، وليس بينهم أسود واحد ، فالتفتت إليه بنظرة متمائلة ، أدرك مقراها على الفور ، فبتسم ، قائلاً :

- البيض هنا هم الخدم ورعاة الأبقار فقط .

قالت فى سخرية :

- من الواضح أنك تفرغ فى مزرعتك ، كل عقد طفولتك المعذبة .

أجابها ، فى لهجة تحمل نبرة تحد :

- وهذا يسعدنى .

غمضت ساخرة :

- بالتأكيد .

كانت فى انتظارهم مجموعة من الخيول الممرجة ، بسروج من الفضة الخالصة ، التى تتم عن ثراء الفلاحين ، الذى يتمتع به زعيم عصابات (هارلم) ، فقالت (تيا) فى ضجر ، وهى تمتطى لحدها :

- لم يجل بخاطرك أن بعض رجلى قد لا يجبنون ركوب الخيل ؟!

قال في لا مبالاة :

- في هذه الحالة ، كانوا سيلحقون بنا ، سيراً على الأقدام .

قالها ، وأطلق صرخة من صرخات رعاية الأبقار ، ويضرب بطن جواده بفخذه ، فتطلق الجواد يعدو نحو مزرعته ، التي بدت على مقربة ، وأطلق رعاية أبقاره صيحات معاتلة ، أزعجت رجال (تيا) كثيراً ، فقالت في صرامة ، وهي تلتكز جوادها بدورها :

- هيا يا رجال .. دعونا نثبت لقرد (هارلم) هذا أننا ، على الرغم من تواجدنا في مزرعته ، ما زلنا في منطقة نفوذنا .

انطلقت بهم قافلة الجياد ، حتى بلغت المزرعة ، وبدا من الواضح ، خلال تلك الرحلة القصيرة ، أن رجال (تيا) يتميزون بالمهارة ، في ركوب الخيل ، حتى أن (جاكسون) قال ، في غيظ واضح :

- الزعيمة تجيد اختيار رجالها .

أجابته (تيا) بلهجة جافة :

- هذا جزء من قوتها .

مط شفتيه للظيظتين ، وهز كتفيه ، وهو يضع على رأسه قبعة ، من قبعات رعاية الأبقار ، ذات لون زاه ، لا يتناسب مع البيئة المحيطة بهم ، قائلًا :

- بالتأكيد .. على أية حال ، سنتناول طعامًا مشويًا ، على طريقة الأجداد ، ثم ...

قاطعه في صرامة :

- أين هم ؟!

التفت إليها ، بنظرة متسائلة بنيدة ، فتأملت في صرامة أكثر :

- أين الأربعة ؟!

مرة أخرى ، مط شفتيه للظيظتين ، وهو يقول :

- وما الداعي للعجلة ؟! إنهم هنا ، تحت حراسة مشددة ، وفي ظروف يستحيل فرارهم منها ، ويمكنهم أن ...

قاطعه في حدة غاضبة :

- أين ؟!

بدا غاضبًا ، لثورتها عليه أمام رجاله ورعاية أبقاره ، ولكنه أجاب في حدة :

- هنا .

ثم دس سيجاره الضخم بين شفتيه ، مضيقاً في عصبية :
- (مارلو) سيصحبك إليهم .

انعقد حاجباها ، مع ذكر اسم جديد ، إلا أنها فوجئت بزنجى
ضخم يبرز ، من خلف باب المزرعة ، وهو يقول :

- أوامرك يا سيد (جاكسون) .

أشار (جاكسون) بيده ، قاتلاً في حدة :

- اصحب الحساء وطاقمها إلى القبو .

سألته (تيا) في حذر :

- أوجد قبو هنا ؟

رمقها (جاكسون) بنظرة باردة ، وتجاهل سؤالها تماماً ، وهو
يقول في غلظة :

- لا تضيقوا الكثير من الوقت .. سنبدأ الشواء على الفور ،
وسأتناول طعامي ، فور الانتهاء منه ، سواء أجزتم مهمتكم أم لا .

لم تستطع (تيا) إخفاء نظرة الازدراء ، التي رمقته بها ، قبل
أن تشير بيدها ، قاتلة :

- لا بأس أيها الشره .

لم تكن ورجالها يحملون سلاحاً ، عندما اصطحبهم (مارلو) ،
إلى ما أطلقوا عليه في المزرعة اسم (القبو) ، إلا أن كل الانفعال ،
الذي كانت تشعر به ، لم يكن يتعلق بهذا ، بقدر ما يرتبط بعند آخر
من التسولات ، التي ظلت تدور في ذهنها ، حتى وصلوا إلى إسطبلات
الخيال الضخمة ، ودلفوا إليها ، فتلفتت حولها ، قاتلة في حدة :

- أهذا ما تطلقون عليه اسم (القبو) ؟

زمجر (مارلو) ، قبل أن يجيب في خشونة :

- القبو تعني أنه مكان تحت الأرض .

عادت تتلفت حولها ، قاتلة في صرامة :

- ولين مدخله المرمى بالضبط ؟

هزّب (مارلو) من أحد قوائم الإسطبل الخشبية ، وهو يجيب :
- هنا .

قلها ، واستخدم يديه مفا ، ليضبط القام الخشبي ، في موضعين
مختلفين في آن واحد ، ثم تراجع خطوة إلى الوراء ..

وفي بطن ، راحت أرضية المنطقة الوسطى من الإسطبل ترتفع ..
وترتفع ..

وترتفع ..

وفي صرامة ، أرادت أن تخفى بها عصبيتها ، غمضت (تيا) :

- وماذا عن الحديث عن الأجداد ، ورفض كل ما هو حديث هنا .

ابتسم (مارلو) في سخرية ، دون أن يجيب ، ثم أشار إلى سلم معدنى ، كشفه ارتفاع تلك اللبقة ، وهو يقول :

- ستجدونهم تحت حراسة مشددة في أسفل .

ترنبت (تيا) لحظة ، ثم بدأت تهبط في درجات السلم المعدنى ، وتبعها رجالها الخمسة ، وخلفهم (مارلو) ، يقول بصوت ، بدا مرتفعاً نسبياً :

- كل منهم في زنزقة منفردة ، ويقوم اثنان من رجالنا بحراستهم ، في نوبات متصلة ، لا تزيد كل منها عن ساعات أربع ، حتى نظل لطقم الحراسة بقطة منتبهة طوال الوقت ، فنحن نعلم أنهم محترفون ماكرون ، إلى أقصى حد .

غمضت (تيا) في توتر :

- إنهم كذلك .

كانت للسلاسل المعدنية تمتد لثلاثة أمتار ، تحت سطح الأرض ، قبل أن تنتهى في مصدحة واسعة نسبياً ، يجلس فيها رجلان ، يحمل كل منهما مدفعاً آلياً ، ولقد تحفزا مع ظهور (تيا) ورجالها ، ثم عادا إلى استرخائهما ، عندما سمعا صوت (مارلو) يقول :

- إنهم ضيوف (جانسون) .

وقفت (تيا) في تلك المساحة ، وعيناها تتأدان ضوءها الخافت تدريجياً ، ونقلت بصرها بين الزنازين الأربعة المغلقة أمامها ، قبل أن تغمض :

- أظن هذا أكثر قساوة من معتقل (جوانتانامو) نفسه (*) .

أطلق (مارلو) ضحكة قصيرة ، قبل أن يقول في غلظة :

- لست أعتقد أننا بلغنا ذلك الكمال .

ثم أشار إلى أحد الرجلين ، قائلاً بلهجة امرة :

- أخرجوهم .

نهض الرجلان ، وبدأا في فتح الزنازين الأربعة ، وهم يصوبون منفعيهما الآليين إلى من بداخلها ..

وعلى الضوء الخافت ، خرجت أربعة وجوه شاحبة ، من تلك الزنازين الأربعة ..

(*) جوفانتامو منطقة استأجرتها الولايات المتحدة الأمريكية من (كوبا) قديماً ، وما زالت تحتفظ بها ، حتى يومنا هذا . وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ، بنت فيها أكثر معتقلات العالم بعدا عن الإنسانية والعقل ، مما يعود إلى الأذهان ذكرى وحشية لنظرة القديمة .

أربعة وجوه ، توحى من النظرة الأولى ، بأن أصحابها قد عاثوا الكثير .. والكثير جداً ..

جداً ..

وسرت موجة انفعالية قوية ، فى جسد (تيا) ..

فلوّل مرة ، منذ غادرت جزيرة الزعمية ، فى قلب المحيط الأطلنطى ، يقع بصرها على وجوه أربعتهم ..

تلك الوجوه ، التى أصابها تحول واضح .

وجوه رفائى (أدهم صبرى) ..

الأربعة ..

7- تكساس ..

« نريد مقابلة سنيور (أميجو) .. »

نطق أحد رجلى المخابرات الأمريكيتين العبارة ، فى صرامة أمرة ، جذبت اقتباه (لورا) ، فتطلعت إلى الرجلين فى شك حذر ، قبل أن تسألتهما ، بصوت تحشرج فى حنجرتها ، من فرط الانفعال :

- لديكما موعد سابق ؟

أجابها أحدهما فى خشونة :

- أظنه سيستقبلنا ، فى كل الأحوال .

تضاعف توترها وحذرهما ، وهى تسأله :

- ولماذا تظن هذا ؟

تبادل الرجلان نظرة صامتة ، قبل أن يخرج أحدهم هويته ، ويضعها أمام وجهها مباشرة ، فغمضت فى شحوب مضطرب :

- المخابرات المركزية ؟

أعاد هويته إلى جيبه ، وهو يقول فى صرامة :

- والآن ، لبلغيه أننا نريد أن نلتقى به ... فوراً .

حارت (لورا) فى البحث عن جواب ، ثم لم تلبث أن قالت فى شيء من العصبية ، بدا واضحا فى قسملها أيضا :

- سنيور (أنريو) سيلتقى بكما لولا ، و ...

قاطعها أحدهما ، فى غلظة شديدة :

- هل سنلقاه بإرائته فوراً ، أم سنضطر لاحتكام مكتبه مرة ثانية ؟!

امتنع وجه (لورا) بشدة ، ولم تستطع النطق لحظات ، وقد اتسعت عيناها عن آخرهما ، و ...

وفجأة ، تبعث ذلك الصوت ..

صوت (أميجو) ، عبر أجهزة الاتصال الداخلية ، وهو يقول فى سخرية :

- عظيم .. لقد سجلنا عبارتكما الأخيرة ، وأعتقد أن وسائل الإعلام سيسعدوا للغاية أن تبث ذلك الشريط المسجل ، عبر كل نشراتها الإخبارية .

ارتبك الرجلان ، واعتدلا فى وقفتهما ، وتلاشت غطرسنتهما دفعة واحدة ، وأحدهما يقول :

- ربما نسلأ استخدام العبارة يا سنيور (أميجو) ، ولكننا نحتاج إلى مقابلتك بالفعل .

واتعد حاجبا (لورا) فى شدة ..

فذلك الصوت ، الذى سمعته ، عبر أجهزة الاتصال الداخلية ، كان بالفعل صوت (أميجو) الذى تعرفه ..

وليس الذى التقت به أمس ..

هناك شيء ما يختلف ..

رنة مفقودة ، لم تشعر بها سوى أمس ..

رنة قوة ..

وبأس ..

وبصرار ..

وعنفوان ..

رنة صوت رجل اعتاد القتال ، ومواجهة الخطر ، وألف صراع الموت والحياة ..

وبكل ما يعمل فى أعماقها من انفعالات ، ضغطت زر الاتصال ، قائلة :

- هم تلمر يا سنيور (أميجو) ؟

مضت لحظة من الصمت ، قيل أن تسمعه يقول :

- دعيهما يدخلان -

نهضت تقودهما إلى مكتبه ، والفضول يلتهم كيبتها كله ،
لرؤية (أميجو) ، والنظر إلى عينيه مباشرة ..

وبصوت مبخوح ، فتحت باب مكتبه ، قائلة :
- سنور (أميجو) .

قالتها ، وعيناها تتطلعان إلى عينيه مباشرة ..
ثم ارتجفت ..

لقد كانت على حق ..

إنه ليس هو ..

ليس صاحب عيني الأسد ، الذي التفت به لمس ..

ليس هو بالتأكيد ..

ولقد بدت نظراته إليها خاوية ، توحى بأنه لم يستوعب
ما يدور في أعماقها ، وهو يشير بيده ، قائلاً .
- أنخليهما .

رأته ينهض لاستقبال رجلتي المخابرات ، وأحدهما يخرج من
جيبه مصباحاً صغيراً ، للأشعة فوق البنفسجية ، وأغلقت الباب
خلفهما ، وهي تلهث في تفعل شديد ..

ذلك الرجل داخل المكتب ، هو (أميجو) القديم ..
نقد تم استبداله مرة أخرى ..

لما الآخر ، فقد رحل واختفى ..

ولا أحد يدري ، إلى أين ذهب !!

إلى أين !!

لا أحد يدري ..

على الإطلاق ..

جوع شديد ، ذلك الذي شعر به (قدرى) ، خبير التزييف
والتزوير ، وهو يقادر تلك الزنزانة الضيقة ، ويقف أمام (نيا)
ورجالها ، وعيناه تقاومان النوم في صعوبة ..

كان قد فقد الكثير من وزنه ، وبدت ملامحه منهدة ، وكأنما
تضاعف عمره مرتين ، خلال تلك الأسابيع التي مضت ، منذ
أخرجتهم تلك الزعيمة الغامضة من جزيرتها ..

كان لاحظتها مصاباً مرهقاً ، حتى أنه لم يحاول المقاومة ،
وهي تحملهم مع مساعنتها إلى سيارة صغيرة ، وتنقل بهم عبر
ممرات طويلة ، إلى حيث تنتظرهم غواصة خاصة ..

كل هذا رصده ، على نحو مهتز ، أشبه بالحلم ، قيل أن يفقد وعيه تمامًا ..

وعندما استعده ، كان يرقد فيما يشبه مستشفى خالصا ، لمح فيه (منى) و(شريف) ، و(ريهام) ، وكلهم يخضعون للعلاج مثله ، و ... وفقد وعيه مرة ثانية ..

لم يدرك بقى بعدها فاقد الوعي ، إلا أنه استيقظ ، وهو يشعر بجوع شديد ، لم يشعر بمثله في حياته قط ، فوجد نفسه داخل حجرة مغلقة من كل الاتجاهات ، مقيدا إلى ما يشبه الفراش المعدنى ، وفي ذراعه إبرة تنقل بعض محاليل التغذية إلى دماجه مباشرة وعندئذ أدرك ، لماذا يشعر بالجوع .

تلك المحاليل الغذائية لن تكفيه حتماً ..

إنه يحتاج إلى طعام ..

طعام حقيقى ..

ونسم ..

وكثير ..

باختصار ، طعام مشبع ، لمن فى مثل عمره وحجمه ..

ثم إنه كان يشعر بثقلان ؛ بسبب اهتزازات غير منتظمة ، للمكان الذى يرقد فيه ..

ولقد جعله تلك الشعور ، يدرك ماهية ما يحدث ..

إنهم ينقلونه ، على متن سفينة ما ..

سفينة وسط مياه متلاطمة الأمواج ..

ولقد استمرت تلك الاهتزازات طويلاً ..

وكثيراً ..

وقبل أن ينهار تماماً ، رأى ذلك الجزء فى مواجهته يفتح ، وتلك الصينية تدخل إليه ، ثم تحقق مادة ما ، فى وعاء التغذية الصناعية ، للمفروسة إبرته فى لورده ..

وبعداً فقد الوعي مرة أخرى ..

ويا له من عذاب ، تلك الذى عناه مع الآخرين ، منذ استعدوا مع صحتهم ، ليجلوا أنفسهم لمرى ، عند تلك الأسود فى (هارلم) ..

طعام قليل ، ومعاملة مهينة ، وقسوة لا مبرر لها ، وأحاديث مبتذلة ، يضطرون لسماعها ليل نهار ..

والمدحش أنهم ، على الرغم من كل هذا ، لم يستسلموا للأمر فى سهولة .. كانوا قد استعدوا عافيتهم ، واستعدوا معها لإرقتهم وخبراتهم ، وإصرارهم على الحرية والنجاة ..

ولقد تعاون (شريف) ، مع (منى) و (ريهام) ؛ لابتكار وسيلة تلو الأخرى للفرار من الأسر ..

وفي مرة أو مرتين ، كانوا قلب قوسين أو أننى من النجاح ..
ومع كل فشل ، كان زعيم عصابات (هارلم) يعاقبهم بمنتهى
الشدّة ، والعنف والقسوة ..

وأخيراً ، وبعد أن أصابه الملل منهم ، أدرك أن اجتماعهم
معا ، هو الذى يدفعهم إلى هذا ، لذا فقد قرّر أن يتعامل معهم
بعدوانية وقسوة أكثر ..

ولقد أدهشهم كثيراً أن قتلهم لم يكن ضمن برنامجهم قط ؛
وكانما هو مضطر للإبقاء عليهم ، لسبب ما ..

لقد قرّر عزلهم عن بعضهم البعض ، ووضع كلاً منهم فى
زناينة منفردة ، مع تقييد معصميه وكاحليه بالأغلال المعدنية
طوال الوقت ..

وعندما قرّر نقلهم ، من (نيويورك) إلى (تكساس) ، تم
دس مخدر قوى فى طعامهم ، ففقدوا الوعي طويلاً ، واستعادوه

ليجدوا أنفسهم فى تلك الزنازين الضيقة ، فى قُبُو يتجدد هواؤه
بالتكاد ..

وكانت تلك هى للصورة ، التى رأيتهم عليها (تيا) ..

شاحبين ..

منهكين ..

نحيلين ..

مقيدين ..

ومرهقين ..

إلا أنهم لم يسوا أبداً محبطين ..

الإرادة كانت تطلّ من عيونهم قوية واضحة ، على الرغم من
مظهرهم الرث ، و (تيا) تتطلع إليهم ، قائلة :

- جميل أن نلتقى مرة أخرى ؛

لجابتها (منى) ، فى صرامة متهلكة :

- أظننا سنلتقى أكثر من مرة بعدها .

هزت (تيا) كتفها ، وقالت :

- ليس بالضرورة .

هتف (قدرى) فجأة :

- نحن جائعون .

رمقته (منى) بنظرة صارمة معاتبة ، وتبادل (شريف) و(ريهام) نظرة صامتة ، فابتسمت (تيا) ، قائلة :

- هذا أفضل .. فالجوعى تشغلهم بطونهم عن أمور أكثر أهمية ، وفى المعتاد ...

قاطعتها (منى) فى حزم :

- لماذا تحتجزوننا ؟!

تطلعت إليها (تيا) فى استخفاف ، وهى تقول :

- ليس من حقه هنا إلقاء الأسئلة .

قل (مارلو) فى خشونة :

- يمكننى لو أردت ، أن أضع رأسها فوراً .

التفتت إليه (منى) بنظرة متحدية ، قائلة :

- ولملأ لا تفعل !؟

أطلق غضب عنيف من عينيه الحمرلوين ، وانطلقت من حنجرتة زمجرة وحشية مخيلة ، وهو يمسح مسدسه ، فندت من (قدرى) حركة متوترة ، فى حين قالت (منى) ، دون أن يهتز لها جفن ، على الرغم من ضعفها الواضح :

- هيا .. افعل !؟

صوب مسدسه إلى رأسها مباشرة ، وسحب إبهمه ، وهو يطلق زمجرة أخرى ، فقالت (تيا) فى صرامة :

- لو ضغطت هذا الزناد ، ستبفض اللحظة ، التى ولدت فيها ..

زمجر مرة ثالثة ، وهو يصرخ :

- يبدو أنك لم تنتهى بعد ، إلى أينى أنا من يحمل السلاح ليتهما الصينية ، وأنى لو أردت ...

قبل أن يتم عبارته ، وثبت (تيا) فجأة ، وقفزت قنماها في آن واحد ، فركلت إحداهما المسدس من يده ، وركلت الثانية فكه مباشرة ..

وفي رد فعل سريع ، رفع حارساه مدفعيهما الآليين ..

ووثبت (تيا) نحوهما ..

لم يدر رجالها الخمسة كيف تحركت بمثل هذه السرعة ، إلا أنها عندما توقفت ، كان (مارلو) وحارساه أرضا ، وكانت هي هائلة متماسكة ، وكلما لم تبذل أدنى جهد ، وهي تقول :

- معذرة ، ولكنني لم أسمع فقرتك الأخيرة ، الخاصة بمن يحمل السلاح .

رمقها (مارلو) بنظرة ممت واضحة ، وهو ينهض ممسكاً فكه ، دون أن ينطق ببنت شفة ، وتطلع إلى مسدسه في حذر متوتر ، فأشارت بيدها في لامبالاة ، قاتلة :

- يمكنك أن تلتقطه .

ثم تجاهلته تماماً ، وأولته ظهرها ، وهي تواجه (منى) ، قاتلة في لهجة متحدية :

- أريد معرفة لماذا لا تقتلكم !!

أجابتها (منى) في هدوء :

- إني أعرف الجواب ، ولكنني أردت أن أسمعك تنطقينه بنفسك .

قالت (تيا) ساخرة :

- حقاً !!

أجابتها (منى) بنفس الهدوء القوي ، على الرغم من أغلالها المعنوية :

- إنها نفس الفكرة ، التي تدفع الدول المتصارعة لسجن جواسيس الدولة الأخرى ، بدلاً من قتلهم ؛ إذ أن قيمتهم أحياء ، تفوق ألف مرة متعة الانتقام منهم بقتلهم ؛ فقد تأتي لحظة ، يساوى الواحد منهم حياة بطل ، من أبطال الدولة الأم .

ابتسمت (تيا) ، مقصفة :

- تظننيها نظرية تبادل أسرى إذن .

أجابتها (منى) :

- إنها كذلك ، على نحو أو آخر ، فلا أحد يحتفظ بأسراه أحياء ،

إلا للإفادة منهم فيما بعد .

اتسعت ابتسامة (تيا) ، وحملت قدراً كبيراً من السخرية .

وهي تميل نحو (منى) ، قائلة :

- حقاً ؟! ولماذا تحتفظ الولايات المتحدة الأمريكية بأسراها

في (جوانتانامو) إذن ؟! إنها لن تستبدلهم يوماً بأخرين ،

إلا أنها ترغب في الانتقام منهم ، والتشفى فيهم ، وهذا وحده

دافع قوي .

هزت (منى) كتفيها ، قائلة :

- ربما بالنسبة للأمريكيين ، ولكنني لا أستطيع تطبيق المبدأ

نفسه ، على من يحتفظون بأسراهم لدى آخرين .

قلت (تيا) في تعال :

- ربما لدينا أسبابنا .

تساءلت (منى) في اهتمام :

- وهذا يدفعنا للتفكير في تلك الأسباب .

بينما تنطق عبارتها ، لاحظت أن (مارلو) وحارسيه قد

تراجعوا إلى ركن تلك القاعة الواسعة ، على الرغم من أن

الحارسين لم يستعيدا مدفعيهما بعد ، وتساءلت : ما الذي يمكن

أن يعنيه هذا ، و(تيا) تجيب في صرامة :

- ليس هذا من شأنك .

زمجر (مارلو) ، قائلاً :

- لماذا لا تخبرينهم بأمر ذلك المصري .

لم يكذب ينطقها ، حتى استدارت (تيا) إليه ، بحركة حادة

غاضبة ، جعلت الأمرى الأربعة يتطلعون إلى بعضهم البعض ،

في مزيج من الدهشة والتوتر . قبل أن يهتف (قدري) ، بصوت

حمل قدراً هائلاً ، من اللهفة والأمل :

- المصري ؟! أي مصري ؟!

قال (مارلو) في خشونة ، متجاهلاً نظرة (تيا) الغاضبة :

- رجل المخابرات المصري ، الذي ..

في هذه المرة ، قاطعته (تيا) بصرخة غاضبة :

- لصمت ..

وبكل انفعال الدنيا ، هتف (شريف) و(ريهام) معاً :

- الأستاذ .

أما (منى) ، فقد شعرت بجسدها النحيل كله ينتفض ، وهي تقول منقطعة :

- (أدهم) ؟! اتعنين أن (أدهم) مازال على قيد الحياة ؟!

وهتف (قبرى) :

- رباه ! رباه !

بدت (تيا) شديدة الغضب والثورة ، وهي تصرخ في وجه الزنجمي المضخم :

- ليها الغبي الأحمق .

احتقت عينا (مارلو) في شدة ، وهو يطلق زمجرة جديدة أكثر وحشية ، وقال :

- مستر (جاكسون) كان على حق .

لم تفهم (تيا) ما يعنيه ، ولكنه تراجع نحو الجدار ، متابعاً في غضب هائل :

- إنك تستحقين القتل .

التقى حاجبا (تيا) في شدة ، واتخذت وضفاً قتالياً متحفزاً ، وهي تقول :

- نلك الحقير (جاكسون) قتلها .

قال (مارلو) في شراسة :

- لم يقتلها فحسب .

وبحركة سريعة مفاجئة ، ضغط حجراً بارزاً في الجدار ، فسقط فجأة قفص من الصلب الثقيل ، ليرحيط (تيا) ورجالها ..

وعلى الرغم من سرعة استجابة (تيا) لمداهشة ، ومحاولتها لوثوب خارج دائرة الفخ ، إلا أن سرعة هبوط تلك القفص كانت مذهشة وكبيرة ، على نحو احتواها مع رجلها ، قبل أن تتجح من الإفلات .
ومع سقوط القفص ، تراجع الأسرى الأربعة بحركة حادة ، وهتفت (منى) :

- يا إلهي !

ومع هتافها ، أطلق (مارلو) ضحكة ساخرة وحشية عالية ، ورفع صوته ، قائلًا :

- هنا يكمن الفارق ، بين من يحمل السلاح ، ومن لا يحمله أيتها الصينية .

لمسكت (تيا) قضبان القفص ، وهي تقول في صرامة غليظة :

- هل يعلم (جاكسون) بأمر تلك الحماسة ؟!

أطلق (مارلو) ضحكة وحشية أخرى ، وقال

- مستر (جاكسون) شخصيًا ، هو الذي أمر بهذا .

هتفت في حدة مستنكرة :

- أمر به ؟!

غمغم (قذرى) ، عندما سمع هذا :

- أحمًا ؟!

أجابته (منى) ، هائلة في حزم :

- اصمت يا صديقي ، وراقب كيف تتعامل الوحوش فيما بينها .

تمتم (شريف) :

- المهم ألا نصبح نحن فريسة لها .

رمقته بنظرة جانبية متوترة ، في حين كان (مارلو) يجيب (تيا) ، وهو يشير إلى حارسه بالتقاط مدفعيهما :

- الواقع أنها كانت خطة عبقرية ، أسهمت أنتم في إتجاحها ، عندما أصررت أنت ورجلك الخمسة ، على رؤية الأسرى بأنفسكم .. لقد أهدت مستر (جاكسون) كثيرًا أمام رجاله ، وتعاملت معه في غطرسة وتعال ، لا يمكنه قبولهما قط ، ولقد نسيت أنت وزعيمك ، أن مثله لا يمكن أن يغفر أو ينسى أبدًا وفي عالمنا ، يمثل الانتقام ودفع الثمن نصف السمعة والسطوة .

قالت في حدة :

- لو علمت لزعيمة بما حدث هنا ، ستسحقك وزعيمك سحقًا .

أشار بمسبأته ، قائلًا :

- لو علمت .. هذه هي النقطة الأساسية ، في خطة مستر (جاكسون) العبقريّة كلها ، فما سيبلغ زعيمك ، هو أنك أسرفت في ثقتك بنفسك ورجالك ، وأصررت على مقابلة الأسرى وحدك ، فقاموا بحركة تمرد جديدة ، ألّت إلى مصرعكم .

وصمت لحظة ، ثم أدار عينيه إلى رفاق (أداهم) الأربعة ، مضيقاً في وحشية متلذذة :

- ومصرعهم .

اتسعت عيون أربعتهم في دهشة . وهتفت (منى) :

- ألبها الحقير .

استقبل (مارلو) هتافها بضحكة ساخرة عالية ، وأشار إلى رجله ، قاتلاً في خشونة وحشية :

- اتركوا الصينية للنهية .. أريدها أن تشهد كل شيء .

مع نهاية عبارته ، ارتفعت فوهتا المدفعين الآليين ، نحو رجال (تيا) الخمسة ، الذين ارتفعت صرخاتهم الغاضبة العصبية ، ثم لم تلبث أن امتزجت بدوى رصاصات المدفعين الآليين ، وهي تنطلق لتحصّد العمالقّة الخمسة بلا رحمة ، وتتناثر دماؤهم على وجه (تيا) وثوبها ، فهتفت مخنقة .

- لن تفلتوا بهذا .

كفت تشعر بعجز تام ، لم تشعر بمثله قط ، وهي سجينّة داخل ذلك القفص ، كحيوان جريح ، وحولها جنث رجالها الخمسة ..

وبمنتهى السخريّة والوحشية ، أطلق (مارلو) ضحكة عالية أخرى ، وهو يدير فوهة مسدسه نحو رفاق (أداهم) الأربعة .. وبحركة آلية ، رفع حارساه مدفعيهما إلى الاتجاه نفسه ..

واتسعت عيون الأسرى المنهكة ..

فعبّر الفوهات الثلاث ، بدا لهم الموت مطلقاً برأسه ، في تحدّ ساخر ساخر ..

وبكل ما يعتدل في نفسها ، صرخت (منى) :

- (أداهم) .

ومع نهاية صرختها ، دوت الرصاصات .

واتنفّض جسد (تيا) ..

بمنتهى الغف .

8 - هو ..

سرت موجة عنيفة من التوتر ، في كيان مدير المخابرات الأمريكية ، وهو يجلس خلف مكتبه ، متطلعا إلى رجله ، وأحدهما يقول :

- إنه هو .. لقد أعطنا فحصه ، وكل النتائج تتطابق مع الفحص السابق .

وغمغم الآخر في ضيق :

- كان موقفنا سخيًا جدًا يا سيدي .

خيل لمدير المخابرات أنه قد اكتمش في مقعده ، وهو يتطلع إليهما في صمت منكسر غاضب ..

لقد خدعته الزعيمة ..

خدعته مرة أخرى ..

أو أنها قد فقدت براعتها ..

ما أن يظهر رجل المخابرات المصري في الصورة ، حتى ترتبك .

وتضطرب ..

وتفقد تركيزها وبصيرتها معا ..

وهم ينقلون إليها كالصبيان ..

ليس مرة واحدة ، وإنما مرتان ..

نعم .. مرتان ..

وبكل غضبه ، أشار إلى الرجلين ، قائلاً .

- اتركاني وحدي .

سأله أحدهما في حذر ، وهو يغادر الحجرة .

- هل تريد تقريرًا مكتوبًا يا سيدي ؟

نهض من خلف مكتبه ، وهو يقول في حدة :

- كلا . لا أوراق مكتوبة .. لا أوراق رسمية على الإطلاق ..

هل تفهمان ؟

أوما الرجل برأسه متفهنا ، وغمغم الآخر :

- بالتأكيد يا سيدي .. بالتأكيد .

تركهما يغادران مكتبه ، وهو يقف عند النافذة ، وكل ذرة في

كيانه تشتعل بغضب هائل ..

ما الذى يحدث بالضبط ؟!

هل فقدت الزعومة لمعنتها السحرية ؟!

أم أن رجل المخابرات المصرى قد تفوق عليها ؟!

إنه أكثر من يدرك مهاراته ..

و خبراته .. وعبقريته ..

وقدراته المدهشة ، على تجاوز أدنى الصعاب ..

ولكنه يشعر بالحنق ! لأنه ينجح فيما تفشل فيه إدارته كلها ..

بل دولته بأكملها ..

(أدهم صبرى) وحده لمكنه كسر أنفها ..

وهزيمتها ..

وإفقادها صوابها ..

ولذلك ، تمنى لو أن هذا الرجل يعمل فى صفوفه ، وليس

فى صفوف المخابرات المصرية ..

والواقع أنه كان يحصد لهم عليه ..

يحصد لهم ، ويشعر بالفضب منهم ، فى الوقت ذاته ..

وبينما استغرق فى تلك الأفكار الملتهبة ، ارتفع رنين هاتفه
الخاص ، فالتقطه دون أن يلقى نظرة على شاشته ، وكلماته هو والى
من هوية محدثه ، وهو يقول فى عصبية :

- كنت أنتظر اتصالك هذا .

فوجئ بها تقول فى هدوء :

- ليس هو .. أليس كذلك ؟!

قال فى حدة :

- من الواضح أن المعلومات تبغك ، قبل حتى أن تبغنا .

صمتت لحظة ، قبل أن تقول :

- هذه المرة لم يبلغنى شيء ، ولكننى توقعت هذا .

هتف غاضباً مستكراً :

- توقعت .

تجاهلت غاضبه تماماً ، وهى تتابع :

- فقد وصلتى معلومة ، تؤكد أن تلك الطائرة الخاصة قد عللت

من (أوروبا) ، وعلى متنها راكب واحد ، حملته سيارة مغلقة

مؤمنة ، من مطار للشركة إلى مبناها الرئيسى مباشرة .

قال في عصبية :

- ما الذى يعنيه هذا فى رأيك ؟!

أجابته فى حزم :

- لقد أدرك أننا كشفنا أمره ، فأعلاه .

شعر مدير المخابرات الأمريكية بغضب هائل ، يتصاعد فى أعماقه ،

قبل أن يهتف فى حدة :

- أعاد من ، وأرسل من ؟! ماذا أصاب عقلك ليتها الزعيمة ؟!

ماذا أصاب رجاحتها وبعد بصيرتك ؟! لماذا أصبحت الأمور معقدة

ومرتبكة داخل ذهنك ، على هذا النحو ، الذى جعل منك ومنا

أضحكة .

صاحت به غاضبة :

- الأمور ليست كذلك فى عقلى وحده .. إنها كذلك فى عالم

الواقع أيضا .. لقد تعدد هذا .. أربكنا بأمور متشابكة ومعقدة ،

وأوقعنا فى خطأ تلو الآخر ، حتى يشتت أذهاننا ، ويبعثنا عن ..

بترت عبارتها دفعة واحدة ، فسألها فى عصبية :

- يبعثنا عن ماذا ؟!

صمتت لحظة ، وكأنها تفكر فى شيء ما ، ثم أجابت فى ببطء ،

حمل كل غضبها من نفسها :

- عن هدفه الرئيسى .

رئد مدير المخابرات خلفها فى حذر :

- هدفه الرئيسى ؟!

كررت ، وقد حمل صوتها مقنا بلا حدود :

- نعم .. هدفه الرئيسى .

سألها بأنفاس مبهورة :

- وما هدفه الرئيسى هذا ؟!

صمتت طويلاً هذه المرة ، قبل أن تجيب فى حدة :

- (تكلم) .

ولم يفهم مدير المخابرات المركزية الأمريكية ، ما عنته زعيمة

منظمات الجلموسية الحرة بقولها هذا ..

لم يفهم أبداً ..

أبداً ..

من المؤكد أن مقتلته مثل (تيا) ، قد شأهنت وخبرت الكثير ،
خلال حياتها الحافلة ..

والكثير جداً ..

جداً ..

لذا ، فعندما يشير مشهد ما أفعالها ، إلى حد الذهول ، فمن
الضرورى أن يتم تسجيله ..

وفى تلك القاعة الواسعة ، أسفل إسطبلات (جاكسون) ، شأهنت
(تيا) أكثر المواقف المدهشة ، فى حياتها كلها ..

فهناك ، صوب (مارلو) وحارساه أسلحتهم ، نحو (منى)
(وقدرى) و(شريف) و(ريهام) ، وأطلق الأول ضحكة وحشية
ظافرة ، وهو يجذب إبرة معدسه ..

وصرخت (منى) باسمه ..

باسم (أدهم) ..

صرخت ، وكأنما تستجد به ، فى موقفها هذا ..

ولوهلة ، بنت صرختها جوفاء ، بلا قيمة .

ثم ظهر هو ...

انتفض فجأة ، من أعلى السلم المعنى ، كما لو أنه قد نبت من
الفراغ ، أو ألقى من العدم ..

أو كأنه جنى المصباح ، يستجيب لنداء صاحبه ..

ولقد ظهر كالعاصفة ..

بل كالإعصار ..

وانتفض جسد (تيا) كله فى عنف ، عندما رأته ينقض على
الرجال الثلاثة ، كما لو كان جنى ثقل ، فلكم أحدهم فى أنفه ، الذى
تفجرت منه الدماء فى عنف ، وجسده يطير ليرتطم بالجدار ، ثم
استدار إلى الثانى وهوى على فكه بكلمة ، أصدرت قرقة مخيفة ،
وتساقطت معها ثلاث من أسنان الرجل .

ثم استدار يواجه (مارلو) ..

وانتفضت أجساد الجميع ..

وصرخت (منى) مرة أخرى ، ودموعها تتفجر من عينيها :

- يا إلهى ! (أدهم) .

تلك الدموع ، التى قاومت مرارة الأسر ، ومهانة العذاب
طويلاً ، لم تستطع البقاء فى عينيها ، فتفجرت تفرج وجهها كله

في لحظة ، وقبلها ينتفض بين ضلوعها ، في سعادة لم ولن
تشعر بمثلا قط ..

(قبرى) نفسه صرخ ..

وراح يصرخ ..

وبصرخ ..

وبصرخ ..

كل سعادته ، وفرحته ، وانفعالاته أفرغها ، في مجموعة من
الصرخات القوية المتتالية ..

أما (شريف) و (ريهام) ، فقد اتسعت عيونهما عن آخرها ،
وخفق قلباهما بمنتهى منتهى العنف ..

وأمام عيني (نيا) قذاهتني ، أممك (أدهم) معصم (مارلو) ،
قائلاً بصوت قاس غاضب :

- من حسن حظك أيها الوغد ، أنك لم تمس شعرة واحدة
منهم بعد .

كان (مارلو) يفوقه حجماً بكثير ، ولقد حاول التملص من نصيبه
الفولانية قبل أن يحاول أن يلكمه بيسراه ، ولكن (أدهم) استقبل

الكلمة في راحة يده اليمنى ، التي بدت كجدار من الصلب ، وهو
يكمل ، بنفس اللهجة القلبية الغاضبة :

- فلو فعلت ، لمزقت أطرافك بلا رحمة .

ثم هوى على أنفه بكلمة ساحقة ، مضيفاً :

- ثم شويتك حياً .

وكال له كلمة ثانية ، في أسنانه مباشرة ، وهو يتابع :

- وألقبت جنك للكلاب .

غامت عينا (مارلو) بالدماء والدموع ، وحاول أن يصرخ :

- مستر (جاكسون) .

ولكن صرخته قت متحشجة ، مختلفة ، فأخرسه (أدهم) بكلمة
ثالثة ، تراجع جسده بعدها في عنف ، ليرتطم بالقفص ، الذي يسجن
(نيا) ..

وفي لحظة واحدة ، وبسرعة مذهشة ، أحاطت (نيا) عنقه
بمذها ، وأدارت رأسه بيسراها ، هاتفة في مقت :

- أتركه لى .

بدا صوت تحطم عتق (مارلو) مخيفاً ، قبل أن يسقط أرضاً جاحظ العينين ، في نفس اللحظة التي استدار فيها (أدهم) إلى رفاقه الأربعة ، وبدا كأسد مخلوق في الكون كله ، وهو يسألهم :
- ألتهم بخير .

ارتفعت صيحاتهم الفرحة ، وهم يتدافعون نحوه ، على الرغم من قيودهم المعدنية ، فاحتوى هو (منى) بين ذراعيه ، وتطلع إليها في حب جارف ، قبل أن يربّت على كتف (قدري) ، قائلًا بابتسامة حنون :

- أين ذهبت أكوام الشحم يا صديقي ؟!

هتف (قدري) ، باكياً في حرارة :

- فليذهب كل شيء ، ما دمت قد عدت إلينا يا صديقي .

ربّت (أدهم) على كتفه مرة أخرى ، واستدار يضم إليه (شريف) و(ريهام) ، دون أن يفلت (منى) ، ثم التفت إليها قائلًا في حب وحنان :

- كم أساءوا إليك يا حبيبتي .

لم تستطع كبح دموعها ، وهي تلتصق رأسها ب صدره القوي ،
قائلة :

- عذاب الدنيا كله لا يساوي شيئاً ، لو أنه ثمن لعودتك إلينا حياً يا (أدهم) .

ارتفع حاجباها في تثر ، واتحنى بطبع قهلة على جبينها ، فصفت (نيا) بكفيها في برود ، على نحو لترعهم من مشاعرهم ، وهي تقول :

- عظيم .. موقف مؤثر للغاية .. كنت أتمنى لو أمكنني تسجيله ، لأطعم به فيلماً من أفلام الدرجة الثالثة ، ولكن دعوني أذكركم ، في لحظات حبكم هذه ، أن أحدث الفيلم لم تنته بعد ، ولنا مازالنا داخل مزرعة (جاكسون) ، ووسط رجاله .

استدار إليها (أدهم) ، قائلًا :

- آه .. كدنا ننسى الفار الصيني ومصيدته .

قالت في حدة :

- افار الصيني هذا كان له فضل بقفد حيلتك ، عندما قررت أن تلعب دور (شمشون) (*) ، في جزيرة الزعيمة ، في قلب الأطلنطي (**) .

تطلع إليها بابتسامة ساخرة ، قائلًا :

(*) شمشون بطل من التراث الشعبي الفلسطيني القديم ، ورد ذكره في العهد الجديد ، واشتهر بقوته الهائلة ، وتقول رويمنه أن قوته كانت تكمن في شعره ، لدى قصته له (نبيلة) ، فقد قوته ، ثم استعدها دغل المعبد ، لمهده على رأسه ورجوس جص من فيه

(**) (* *) رابع قصة (النهاية) المقامرة رقم (150) .

- ومماذا لو أنني قد استعدت ذكريات تلك اللحظات ، وأدركت أن القبط هو الذي أنقذني ، وليس الفأر .

قالت في حدة :

- فليكن .. إنك لن تتركني خلفك ، في كل الأحوال ..
هذه ليست شيمتك .

مطّ شفتيه ، وهز كتفيه ، قاتلاً :

- الإنسان يتغير ، مع مرور الزمن .

احتقن وجهها في شدة . وأمسكت قضبان قفصها . صائحة في حدة :

- على الأقل لا تتركني داخل هذا القفص اللعين

تجاهلها (أدهم) تماماً ، وهو يلتفت إلى (منى) ، قاتلاً في حنان :

- أظن أن الخطوة الأولى ، هي تخليصكم من هذه القيود .

هتف (قنري) في حماس :

- وما رأيك لو أن الخطوة الثانية ، هي أن نتناول وجبة دسمة ؟!

ضحك (أدهم) ، وربّت على كتفه ، قاتلاً :

- اطمئن يا صديقي .. سستعيد كل ما فقدته من وزن ، على الرغم من قلقي من سميتك المفرطة .. هذا وعد .

قال (قنري) في لهفة :

- ترى هل يمكنك تحقيقه ، قبل غروب الشمس .. إنني أتضور جوعاً .

هتفت (نيا) في حدة :

- عظيم .. انتقلنا من الأفلام الرومانسية إلى الأداء الهزلي ..
أئن انتهى كل هذا . وننتقل إلى عالم الواقع ، قبل أن يدرك زعيم (هارلم) وقتله ما حدث ؟!

مرة أخرى ، تجاهلها (أدهم) تماماً ، وهو يفتش جيوب رجال (جاكسون) الثلاثة ، الذين أفقدهم الوعي ، قبل أن يعدل ، قائلاً :

- لا أحد منهم يحمل مفاتيح الأغلال .

هتفت (تيا) بنفس الحدة :

- وماذا توقعت أيها المحترف ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يجذب سلكاً رقيقاً من حزامه ، قائلاً :

- لا شيء .. كنت أرغب في توفير الوقت فحسب .

قالها ، وراح يعالج قيود رفاقه ، في سرعة ومهارة ، وتابعه

(تيا) في دهشة مبهورة ، في حين غمضت (منى) في حنان :

- لا يمكنك أن تتصور ، كم اشتقت لهذا .

منحها ابتسامة هائلة ، وأكمل عمله في صمت ، حتى انتهى

من حل قيود أربعتهم ، فوقف (شريف) و (ريهام) أمامه في

احترام ، وقال الأول في حزم :

- إنه لشرف أن نعود إلى العمل تحت إمرتك يا أستاذ .

هتف (قدرى) ، وهو يحتضنه في حب :

- بل هو من الرائع أن أراك مرة أخرى ، يا أعظم صديق عرفته .

صرخت (تيا) فجأة :

- رباه ! لقد منمت هذه الأقلام السخيفة .

تجاهلتها (منى) هذه المرة ، وهي تسأل (أدهم) في لهفة :

- ولكن كيف توصلت إلينا ؟ كيف وصلت إلى هنا ؟

ابتسم ، مجيباً :

- لقد أتيت بالطائرة .

ثم التفت إلى (تيا) ، مكماً في سخرية :

- طائرتهم .

قتفضت (تيا) في قوة ، وهي تهتف ذاهلة :

- طائرتنا ؟!

انضم ، قتلًا :

- نعم يا عزيزتي .. في طائرتكم .. أتيت وأنا أحتمل رؤيتك ،
أنت وذلك الحقيير من (هارلم) لخمس ساعات كاملة .

هتفت ذاهلة :

- مستحيل ! الطفرة لم تضم سوى رجالي ، وقد لقوا مصرعهم
جميعًا ، ورجال (جاكسون) ، وكلهم من السود ، و ...

قاطعها ساخرًا :

- والطيار ، ومساعده .

اتسعت عيناها عن آخرها ، وهي تهتف :

- مستحيل !

أشار بصيافته ، قتلًا :

- لو أنني اتحلت شخصية الطيار ، لكان هذا بالفعل مستحيلًا ؛
لأنني أجهل موقع المزرعة ، والسبل الجوية ليلوغها ، لذا فقد

اتحلت شخصية مساعد الطيار ، وتركت للطيار القيادة
وتحديد المسار ، واكتفيت بإبراز مهارتي في التحكم بالطائرات
فحسب .

لم تستطع إخفاء ذهولها وانبهارها ، وهي تحدثني فيه ، قبل أن
تقول في بطء :

- وك ... كيف عرفت أن (جاكسون) يحتفظ بهم ؟!

صمت لحظة ، ثم أجاب في هدوء :

- أنت قدتي إليه .

هتفت مذعورة :

- قنا ؟!

التقط نفسيًا عميقًا ، وتابع :

- اللعبة كانت ناجحة ، أكثر مما توقعت .. لقد أربكت الكل ،
في محاولة تحديد هوية رجل ، وأطلقت كل أقسام التحريات في
الشركة ؛ للبحث عن رفاقي الأربعة ، بحيث يتصور الجميع أن

هذا هو الهدف الرئيسي للبحث ، ولكنني في الواقع ، كنت أبحث عن شخص آخر تمامًا .

ثم أشار إليها ، مضيفاً :

- أنت .

حدثت فيه بنفس الذهول المبهور ، وهو يتابع مبتسمًا :

- كنت واثقًا من أن زعيمك سترتبك ، مع حالة الاضطراب التي صنعتها ، وأن أول ما سترغب في التيقن منه ، هو أن غنيمتها الكبرى ما زالت في قبضتها .. لأنها تدرك عقم سرية وسائل الاتصال العادية ؛ فستلجأ حتمًا إلى السعي خلف تأكيد مصري لا يقبل الشك ، ولم يكن لديها من تثق فيه ، في مثل هذه الأمور سواك .. لذا فقد أطلقت عشرات العيون للبحث عنك ، في كل مكان يتوقع ظهورك فيه ، ومن حسن الحظ ، وسوء تفكيرك للأمور ، اعتدت التنقل دومًا في سيارات فارهة مميزة ، يسهل رصدها وتعقبها .

قللت في وقت :

- إن فقد رصدت ذهابي إلى (هارلم) ، ومقابلتي لذلك الحقيق (جاكسون) .

ابتسم أكثر ، وهز كتفيه ، قائلًا :

- الباقى بعد هذا لم يكن عسيرًا .

غمضت بوجه وصوت محتقنين :

- بالتأكيد ..

لم تكذ تنطقها ، حتى تنبهرت حواسها كلها دفعة واحدة ، وهنت في توتر :

- مهلاً :

بدا الاهتمام على وجوه الجميع ، فأضافت في عصبية :

- هناك سيارات تقترب .

كان (لاهم) قد قلبه بدوره إلى تلك الصوت ، وانعقد حاجباه في شدة ..

فخلال الدقائق ، التي قضاها في مزرعة (جاكسون) ، أدرك على الفور أن أحدا لا يستخدم السيارات فيها ..

فمن يقود إذن تلك السيارات ، التي تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

من ؟

« جاك لوريل » .. من المخابرات الأمريكية ..

نطق رجل المخابرات الأمريكي العبارة في حزم ، فتطلع إليه (جاكسون) في عصبية واضحة ، وهو يقول :

- وما شأن المخابرات المركزية بمزرعتي .

أجلبه للرجل في صرامة :

- ممستر (جاكسون) .. نحن نعلم الكثير عن نشاطاتك في

(هارلم) ، ولدينا سجل حافل لك في ملفاتنا السرية ، ولكن

لا صلة لهذا بقدمونا الآن .

نقل (جاكسون) بصره ، بين السيارات الثلاث ، التي تقف أمام مزرعته ، وفريق الرجال المسلحين ، الذي يقف حولها ، قبل أن يقول بنفس العصبية :

- لماذا أتى كل هذا الجيش إذن ؟

شد الأمريكي قامته ، وقال في حزم :

- لدينا معلومات ، تؤكد أن أحد من تبحث عنهم بشدة ، متواجد الآن هنا .

هتف (جاكسون) في دهشة مستنكرة :

- هنا ؟ في مزرعتي ؟

أجلبه الرجل بمنتهى الحزم :

- نعم .. هنا .

بدا الشك والحذر على وجه (جاكسون) ، وهو يسأل :

- إنه ليس أحد رجالي .

أجلب الرجل المخابرات في سرعة :

- كلاً .. إله مصرى .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

- ضابط مخابرات مصرى .

التفص جسد (جاكسون) ، وهو يحدثنى فى وجهه ، هاتفاً بكل الدهشة :

- رجل المخابرات المصرى ؟! هنا ؟! مستحيل !

قال رجل المخابرات فى صرامة :

- لدينا تصريح خاص بتفتيش مزرعتك ، ونتمنى أن يتم هذا على نحو ودى ، ودون أية مشكلات .

قال (جاكسون) فى حدة :

- ليس بدون حضور فريق محامى .

قال رجل المخابرات فى غلظة :

- هل تصرّ على هذا ؟!

هاتف (جاكسون) :

- بالتأكيد .

لم يكذب ينطقها ، حتى اندفع أحد رعاة الأبقار إليه ، هاتفاً :

- مستر (جاكسون) .. لن يمكنك أن تصدق ما حدث فى الإسطبلات .

لم يكذب الرجل ينطقها ، حتى انتبه لوجود رجال المخابرات ، فتراجع بحركة حادة ، إلا أن رجل المخابرات الأمريكى سحب مسنمه فى سرعة ، وهاتف برجاله :

- إلى الإسطبلات .

صاح (جاكسون) فى غضب :

- سأقاضىكم ، لو اقتربتُم منها ، دون تصريح رسمى .

استدار إليه رجل المخابرات الأمريكى فى شراسة ، قائلاً :

- اسمعنى جيداً يا (جاكسون) .. البلاد تواجه ظروفاً غير

اعتيادية ، وأمنها القومى مهدد ، على نحو لم يحدث من قبل

قط ، ولقد قالها الرئيس ، في أهم خطبه .. من ليس معنا ، فهو
ضدنا .

قال (جاكسون) في عصبية :

- وما الذى يفترض أن يعنيه هذا ؟

أجابه الأمريكى ، وهو يلوح بمسدسه في وجهه :

- ما يعنيه هو أنه عندما نواجه خطرًا يهدد أمننا القومى ،
نتغاضى في المعتاد عن أية خلافات أو صراعات داخلية ، حتى
تمر العاصفة ، وبصيفة أكثر بساطة .. مهما كان ما تخفيه هنا ،
فستغاضى عنه تمامًا ، بل وربما نساندك رسميًا ، إذا ما اقتضت
الأمر ، لو أنك تعاونت معنا ، في برنامج مكافحة الإرهاب
الداخلى .

مضت لحظة ، حذى خلالها (جاكسون) في وجه رجل
المخابرات الأمريكى في بلاهة ، ثم لم يلبث أن استوعب ذلك
المنطق المباشر ، فهتف في رجاله ورعاة أبقاره :

- هيا يا رجال .. سنتعاون معهم لاصطياد فريسة .. فريسة
بشرية .

وخلال دقائق قليلة ، كان أكثر من مئة رجل مسلح يحاصرون
إسطبلات (جاكسون) ، وكلهم متحفزون لإطلاق النار ، على
أول هدف يتحرك ..

وكان هذا يعنى أن (لهم) ورفاقه قد سقطوا في مصيدة ،
لا فكاك منها أبداً .

مصيدة موت ..

محتوم .

انتهى الجزء الأول بحمد الله
ويليه الجزء الثانى بإذن الله
(المواجهة)



و. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية
للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

الإرهاب

- دولة عظمى ، تشن حرباً على كل معارضها ، بحجة محاربة الإرهاب ..
- وغموض يشمل كل خطوة ، وكل جولة ، في معركة متعددة الأطراف ..
- ورجل واحد ، يواجه كل القوى ، في دولة تتزعم العالم الجديد ..

155

* اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع
(رجل المستحيل) في معركته الأخيرة



المغامرة القادمة —
المواجهة



الشمس في مصر 300
تومة يماذله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم